ملامح من الحياة الاجتماعية في ماوراء النهر حتى عهد الدولة السامانية

د. نزار عبد المحسن داغر
جامعة البصرة

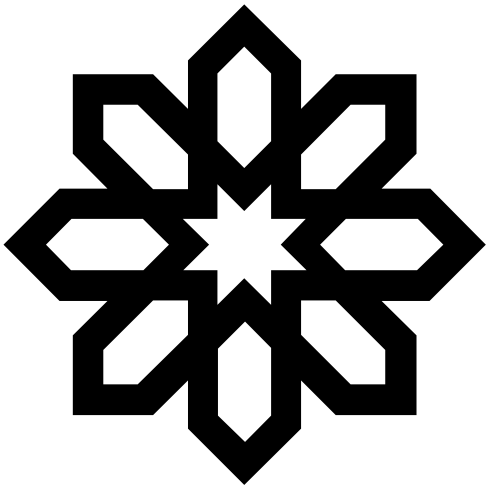

مقدمة جغرافية – تاريخية :

يقصد بما وراء النهر ، ما وراء نهر جيحون (*) ، وهذه التسمية اطلقها العرب المسلمون على كل الاقاليم التي تقع بعد هذا النهر (١) ويطلق عليه ايضاً اسم (بلاد الهياطلة *) (٢) ، نسبة الى القبائل التي هاجرت اليه (٣) ، وسيطرت على جميع تلك البلاد ، ويسمى كذلك بلاد السغد * (٤) ، نسبة للوادي والنهر الذي يشرب منه اهالي هذه النواحي (٥) . وقد عدّ نهر جيحون ، الحد الفاصل بين الاقوام الناطقة بالفارسية والاقوام الناطقة بالتركية ، فما كان في شماله – أي ورائه – من اقاليم ، سماها العرب ما وراء النهر (٦) .

لقد قسم البلدانيون بلاد ما وراء النهر الى خمسة اقاليم ، كقسمتهم باقي ارجاء المعمورة ، وهي ؛ اقليم السغد ، والذي يعد أجل اقاليم هذه المنطقة شأناً ، وقصبته * ، سمرقند (٧) ، واقليم خوارزم الذي يقع غرب بلاد ما وراء النهر ، اما اقليم الصغانيان ، فيقع في الجنوب الشرقي (٨) ، ويقع اقليم اشروسنة شرقي سمرقند (٩) ، بينما اقليم فرغانة والشاش ففي اقصى شرق بلاد ما وراء النهر ، وجميع هذه الاقاليم المذكورة ، يتبعها عدد كبير من المدن والقرى الآهلة بالسكان والعمران والكثير من المناطق الزراعية (١٠) .

ان هذه البلاد وان اختلفت عن خراسان * جغرافياً وحضارياً ، الا ان البلدانيين الاوائل ، ذكروا ما وراء النهر ، ضمن اقليم خراسان (١١) . وقد يعود هذا الامر الى سيطرة العرب عليها ، لا سيما واذا عرفنا ان البلاذري والطبري ، عندما أشارا الى فتوح خراسان على يد عبد الله بن عامر * ، قد جعلاه ارباعاً (١٢) ، ولم يشرا الى ما وراء النهر وتبعيتها الى خراسان ، ولعل ذلك راجع الى ان العرب لم يكونوا قد سيطروا عليها في هذا الزمن المبكر (١٣) .

اما حدود بلاد ما وراء النهر ، فيبدو ان الاصطخري ، قد وضع لهذه المنطقة حدوداً منفصلة عن خراسان جغرافياً عندما اشار قائلاً " واما ما وراء النهر فيحيط به من شرقيه فامر وراشت ، وما يتاخم الختّل * من ارض الهند على خط مستقيم ، وغربيه بلاد الغزيّة والخزلجية من حد طراز ** ممتداً على التقويس حتى ينتهي الى فاراب *** وبيسكند وسغد سمرقند ونواحي بخارا الى خوارزم ، وشماليه الترك الخزلجية من اقصى بلاد فرغانة الى الطراز على خط مستقيم وجنوبه نهر جيحون من لدن بذخشان **** الى بحيرة خوارزم على خط مستقيم " (١٤) . وهو بذلك قد فرّق ما وراء النهر عن خراسان ، وذكر مناطقه بمعزل عن مناطق خراسان بقوله " ولما وراء النهر كور * ، اولهما فيما يُصاقب ** جيحون على معبر خراسان ، كورة بخارا ، ويتصل بها سائر السغد المنسوب الى سمرقند واشروسنه والشاش وفرغانة وكش ونسف والصغانيان واعمالها *** ، والختّل ، وما يمتد على نهر جيحون من الترمذ والقواذيان واخسيسك وخوارزم " (١٥) .

لقد اشتهرت اقاليم ومدن ما وراء النهر بغزارة ثرواتها الطبيعية ، وتميزت ارضها بأنها اخصب بلاد الله تعالى ، وانزهها ، واكثرها خيراً (١٦) ، لذلك قيل عن اهالي هذه المناطق بأنهم لا يقحطون ابداً ، حتى استغنوا عن نقل شيء اليهم من غير بلادهم (١٧) .

اذ ليس هناك مكان يخلو من مزارع ومراعٍ ، وبلغت اطعمتهم من الكثرة ، بحيث ترعاها دوابهم ، اما مياههم ، فأنها اعذب المياه واخفها ، وقد عمت المياه العذبة اغلب جبالها وضواحيها ومدنها (١٨) . لذلك اصبحت هذه المنطقة ، محط قبول وجذب من قبل الكثير من الاجناس البشرية ، اذ ان قابليتها الانتاجية كبيرة ، نظراً لسعة مساحتها وملائمة الظروف البيئية للانتاج الزراعي والحيواني ، وكثرة ثرواتها الطبيعية ، الامر الذي حفّز البعض للهجرة اليها ، والاقامة فيها (١٩) ، اذ شهدت اقاليم ما وراء النهر – ومنذ اقدم العصور – هجرة الكثير من القبائل النازحة اليها من اواسط اسيا ، وسهوب منغوليا (٢٠) ، ولعل الحروب والنزاعات القبلية هناك ، فضلاً عن الانفجار السكاني الهائل والاعداد المتزايدة بصورة كبيرة في تلك المناطق الفقيرة بثرواتها ، كان دافعاً لنزوح بعض هذه القبائل ، للبحث عن مناطق استقرار جديدة ، توفر لها سبل العيش والاستقرار والامان ، فكان ما وراء النهر بما تمتلكه اراضيه من وسائل العيش المختلفة ، مكاناً لهؤلاء ، اذ ظهرت اولى المستوطنات القبلية القديمة في فرغانة ، والتي سرعان ما تأقلمت مع طبيعة المنطقة واستغلت مواردها ، فأخذت تمارس الزراعة الى جانب مهنتها القديمة – الرعي – وازداد اعداد افرادها بصورة كبيرة ، فامتدت نحو مناطق اوسع مما

كانت عليه [٢١] ، وهكذا توالت الهجرات منذ مطلع الالف الاول قبل الميلاد ، متجهة نحو اراضي ما وراء النهر غرباً ، حتى انتشرت هذه القبائل في جميع اقاليم ما وراء النهر وانفصلت عن مجتمعاتها الاصلية في اواسط اسيا ، وشكلوا مجتمعاً عرف بالترك الغربيين ، تمييزاً لهم عن اقرانهم – الترك الشرقيين – واستولوا على جميع الاراضي الخصبة في ما وراء النهر [٢٢] ، وخلال القرن الثاني قبل الميلاد ، حتى القرن الخامس الميلادي ، استمرت قبائل اواسط اسيا بالتدفق الى ما وراء النهر ، اذ هاجرت اليه ايضاً القبائل البدوية التي كانت تعرف لدى العرب بـ (الهياطلة) [٢٣] ، ولعل الرعب الذي زرعته هذه القبائل في نفوس القبائل الاخرى القاطنة في بلاد ما وراء النهر بما تمتلكه من قوة وبأس ورغبة في السيطرة ، فدمروا اغلب المدن الناشئة هناك ، كبخارى [٢٤] ، الامر الذي اثار مخاوف الاهالي ، فعمدوا الى بناء القلاع والحصون والاسوار لحماية مدنهم من هجمات اعدائهم ، وتجنب البلاد الدمار والنهب [٢٥] ، حتى بلغ تعدادها في ما وراء النهر الى اكثر من عشرة الاف قلعة [٢٦] .

وقد اضحت هذه المنازعات والحروب بين قبائل الترك في بلاد ما وراء النهر ظاهرة ملازمة لها [٢٧] ، ويبدو ان مشاكلها المتفاقمة وصراعاتها قد شكلت اثراً كبيراً على طريق التجارة الكبير المار عبر اراضي ما وراء النهر والذي يربط الصين ببلدان العالم الاخرى ، فضلاً عن ان وصول نفوذ بعض القبائل في ما وراء النهر لا سيما الهياطلة (الهون) الى اواسط اسيا [٢٨] ، وتهديدها امبراطورية الصين ، قد اثار مخاوف الاخيرين ، فحاولوا كبح جماح هذه القبائل والحد من خطرها عليهم . ولم تخبرنا المصادر التاريخية المتوفرة عن اجراءات الصينيين حول ذلك ، لكن يبدو انهم تحركوا للسيطرة على ما وراء النهر ، لولا المشاكل والنزاعات الداخلية حول اعتلاء عرش امبراطوريتهم بين الاسر الحاكمة هناك والتي ادت الى تقسيم بلادهم [٢٩] ، قد حال دون ذلك ، مما عزز قوة ونفوذ الهياطلة ، واصبحوا هم اسياد ما وراء النهر لاكثر من قرنين من الزمان [٣٠] ، حتى بات أسمهم يطلق على جميع اراضي ماوراء النهر ، فأخذ يعرف ببلاد الهياطلة [٣١] فسيطر هؤلاء على قسم من اراضي الصين [٣٢] ، كما حاولوا الامتداد غرباً نحو اراضي الدولة الاخمينية * المتاخمة لهم ، ولعل انشغال الاخمينيين بمشاكل دولتهم ، وحروبها لا سيما مع المقدونيين [٣٣] ، هو ما حفز الهياطلة للسيطرة على خراسان وعبور نهر جيحون ، والدخول في حروب وصراعات معهم ، كما ان انهيار الدولة الاخمينية في عهد ملكهم دارا الثالث او الاصغر * (٣٣٥ – ٣٣١ ق.م) على يد الاسكندر المقدوني ** (٣٣٦ – ٣٢٣ ق . م) ، قد عزز نفوذ الهياطلة بصورة اكبر ، لولا تصدي الاسكندر لهم ، الذي وجد فيهم قوة مباشرة تهدد قواته وجيوشه التي وصلت الى اقصى خراسان ، بعد القضاء على كل نفوذ الاخمينيين هناك ، لذا قام بخطوتين مهمتين ، الاولى كانت في اجتياح بلاد ماوراء النهر – بما يمتلكه من جيش قوي – وبالتالي القضاء على خطر الهياطلة ، اذ تشير بعض المصادر انه سار بجيشه حتى وصل اقصى فرغانة [٣٤] ، والثانية كانت في محاولة زرع الفرقة والانقسام بين القبائل القاطنة في ما وراء النهر ، وتفتيت اواصر المجتمع القبلي ، عن طريق انشاء مدن ذات طابع يوناني ، تعطى ادارتها وحكمها الى قادة جيشه [٣٥] ، ويبدو ان اجراءات الاسكندر تلك ؛ على الرغم من نجاحه في زرع الفرقة والانقسام بين القبائل وتأسيس ممالك او دويلات صغيرة ، الا انه لم يستطع الحد من خطر الهياطلة هناك ، اذ استمرت قوتهم وتهديدهم لجيرانهم حتى العصور التي تلت عهد الاسكندر ، فكانت محاولات اندفاعهم نحو الغرب مستمرة للسيطرة على خراسان ، لذا دخلوا في صراع جديد مع الدولة الساسانية ، خلال عهد ملكهم يزدجرد الثاني بن بهرام * (٤٣٨ – ٤٥٧ م) [٣٦] ، للسيطرة على خراسان ، مستغلين مشاكل الدولة الساسانية وحروبها مع الروم البيزنطيين ، فتوسع نفوذهم وفرضوا سيطرتهم على جميع الممالك القبلية في ما وراء النهر ، واستطاعوا توحيد جموعهم [٣٧] ، الا ان ارتقاء كسرى انوشروان * ، عرش الدولة الساسانية عام ٥٣١ م ، والذي يعد عهده ، أزهى العهود التي مرت بها الدولة الساسانية [٣٨] ، قد حدّ من خطر الهياطلة ، لا سيما وانه ادرك خطرها على دولته وعلى طريق التجارة الكبير مع الصين ، فضلاً عن اتهامهم بقتل جده الملك فيروز بن يزدجرد * ، وانه جاء مطالباً بثأره [٣٩] ، فكانت جميع تلك الذرائع دافعاً لاجتياح الفرس الساسانيين لبلاد ما وراء النهر ، حتى وصلوا الى اقصى الشرق

، حيث فرغانة ، التي اتخذها انوشروان معسكراً ، فانزل جيشه فيها [٤٠] في محاولة على ما يبدو للحد من تدفق الترك الى مناطق ومدن ما وراء النهر من اواسط اسيا وبالتالي ايقاف معاونة ابناء جلدتهم ضد الساسانيين ، لا سيما وان فرغانة كانت الممر الرئيسي لتدفق الهجرات عبر اراضيها الى ما وراء النهر ، الا ان المشاكل التي مرّت بها الدولة الساسانية خلال عهد انوشروان ، والعهود التي تلته والتي تمثلت بالصراع على العرش بين ابناء الاسرة الحاكمة ، والاضطرابات والحروب ، ادى الى اضعاف الدولة [٤١] ، مما اتاح المجال لقبائل الترك في بلاد ما وراء النهر الى تعزيز دورها السياسي مع الصينيين ، وتنشيط حركة التجارة معها [٤٢] ، والتي يبدو انها ساءت وتأثرت كثيراً نتيجة سيطرة الساسانيين على بلادهم ، الا ان محاولاتهم تلك لم تجد نفعاً كبيراً على الجميع ، اذ ان حالة العداء المستمر بين هذه القبائل ، والصراع الدائم فيما بينهم من اجل السيطرة والنفوذ على اراضي ما وراء النهر ، كان عائقاً اساسياً في تعزيز علاقاتهم ودورهم مع الصينيين ، والذين هم انفسهم قد تأثروا كثيراً من مشاكل هذه القبائل وحروبها ، لذا وجد الامبراطور الصيني هسوان تسونغ (٩٤ – ١٣٩ هـ / ٧١٢ – ٧٥٦ م) ، ان الفرصة مواتية له لمد نفوذ دولته على اراضي ما وراء النهر ، واحتلالها [٤٣] ، ولم تخبرنا المصادر عن جهوده في هذا المجال ، لا سيما وان عهده رافق ظهور العرب المسلمين كقوة جديدة ، لها تطلعاتها نحو بلاد ما وراء النهر ، وتمتلك من القوة العسكرية والثبات ، ما جعل الصينيين يغضون الطرف فيما يبدو ، للدخول في صراع جديد مع قوة اخرى تمثلت بالعرب المسلمين ، لا سيما وان نفوذهم بدأ يتغلغل الى ما وراء النهر ، منذ مطلع عام ٨٦ هـ / ٦٠٥ م ، عندما بدأوا يقتحمون قلب مقاومة الترك وخطرهم عليهم [٤٤] ، كما انهم استغلوا الصعوبات التي احاطت بالترك ، اثر النزاعات المسلحة بينهم ، الامر الذي اضطرهم الى التخلي عن بعض اراضي ما وراء النهر لصالح العرب [٤٥] ، وهذا دون شك قد اضعف قوات الترك ، كما ان جهود قتيبة بن مسلم الباهلي، الذي تولى قيادة جيش فتح خراسان وما وراء النهر عام ٨٦ هـ / ٦٠٥ م ، قد فرض الاهتمام بتأمين متطلبات هذه الحرب ، لا سيما مع الترك ، اذ استطاع ان يوقع الفرقة والخلاف بين ممالكهم المنتشرة في ما وراء النهر ، عن طريق زرع الفتنة والنزاع بينها ، كما حصل بين مملكتي فرغانة وخوارزم [٤٦] ، وقد نجح في ذلك نجاحاً كبيراً ، حتى ان كل التحالفات التي تجمعت بين ممالك ما وراء النهر ، وقوى الاهالي ، في التصدي للعرب ، قد باءت بالفشل [٤٧] لا سيما وان العرب قد استفادوا من النزاع بين هذه الممالك الى حد كبير ، وتهيأ لهم خلال الفترات اللاحقة ، ان يتناولوا هذه الممالك كل على حدة ، ولم تجتمع في وجههم جبهة موحدة من الترك ، ولم تشعر هذه الممالك ، الا والنفوذ العربي الاسلامي قد تسرب الى بلادهم كلها [٤٨] وبلغ بينهم الخلاف والانهيار الى درجة كبيرة ، لا سيما في العصر العباسي ، ففي عهد الخليفة المهدي (١٥٨ – ١٦٨ هـ / ٧٧٥ – ٧٥٨ م) ، بلغ فيهم الضعف ما جعلهم يستسلمون للخلافة العباسية واوامرها لهم بالخضوع وفرض سيادة الدولة عليهم ، فأذعنوا لها بالطاعة [٤٩] ، ولعل ذلك يشير الى القوة التي وصل اليها العرب ، الامر الذي خشي الترك هناك من سطوتهم ونفوذهم ، وعلى الرغم من تمرد الاهالي في ما وراء النهر خلال عهد هارون الرشيد (١٧٠ – ١٩٣ هـ / ٧٨٦ – ٨٠٨ م) ، وتشجيعهم للثورات والاضطرابات ضد الدولة العباسية [٥٠] ، بسبب رغبة هؤلاء الترك في عدم الانضواء تحت سيادة الدولة العربية الاسلامية، واظهار سخطهم ضد سياسة الدولة هناك ، لذا وجد الخليفة العباسي المأمون (١٩٨ – ٢١٨ هـ / ٨١٤ – ٨٣٣ م) ، خطر ذلك على سلامة وامن الدولة وسيادتها على تلك المناطق ، فأخذ يلح عليهم بالغارات والحروب المتواصلة لاخضاعهم ، وفي الوقت نفسه ، كان يستخدم معهم اساليب السلم والترغيب ، وارسال البعوث اليهم ، والاموال والصلات ، ليستميلهم للدخول الى الاسلام وطاعة الدولة [٥١] ، وقد تكللت جهوده بالنجاح ، اذ استطاع المأمون ، ان يحد من خطر الترك وتهديدهم لسلامة وامن دولته ، عن طريق تغلغل نفوذ الدولة التي تلك المناطق بصورة كبيرة وقوية ، وبالتالي انتشار الاسلام بين الترك [٥٢] ، اذ ان ذلك يعد عاملاً قوياً فيما يبدو لتوجه الترك لنصرة الاسلام والدولة بدلاً من اعانة ممن لم يدخل الاسلام منهم ، وقد بدأ اثر ذلك الامر واضحاً لا سيما ان الكثير من الاهالي ، قد اعتنق الاسلام وانخرطوا في خدمة الدولة العباسية ، واصبحوا في صنوف جيشها [٥٣] . لذا نجد ان الخليفة العباسي المعتصم بالله (٢١٨ – ٢٢٧ هـ / ٨٨٣ – ٨٤١ م) قد الحّ في طلبهم وجلبهم من مناطق

ما وراء النهر [٥٤] وجعلهم ضمن صفوف الجيش العباسي ، وقرّبهم اليه واغدق عليهم الاموال وميزهم عن باقي خاصته وحاشيته [٥٥] في اجراء على ما يبدو لكسب جهودهم في خدمة الدولة ، وارضائهم عن طريق الصلات والاموال وبعض المناصب القيادية في الجيش ، لما عرف عنهم من بأس وجرأة وشجاعة وطاعة امرائهم وقادتهم وخدمة عظمائهم [٥٦] ، ولعل هذه السياسة كان لها اثرها الواضح من خلال الاعداد الكبيرة من اهالي تلك المناطق التي تدافعت لاعتناق الاسلام واداء فرائضه ، حتى وصف بعضهم بانهم اول سابق الى الحج واستقامة في الدين [٥٧] ، كما ان السياسة التي اتخذها العباسيون في التأكيد على المظاهر الدينية في مراسم دولتهم ، قد لاقت نجاحاً كبيراً ، فقد نظر المسلمون للخلافة العباسية ، على انها تمثل دوراً لوحدتهم السياسية ومصدراً لقوتهم الذاتية ، فكان ذلك على ما يبدو دافعاً للامراء والاسر الحاكمة على السعي للحصول على رضا الخلافة وموافقتها ، لإضفاء صفة الشرعية على حكمهم امام رعاياهم [٥٨] فكان من اثر ذلك ، تدافع الكثير من اهالي ما وراء النهر في اعتناق الاسلام وتعلم اللغة العربية والتفقه بعلوم الدين الاسلامي ، وبذلك اضحت الكثير من المدن الكبرى هناك كخوارزم وبخارى وسمرقند والشاش وفرغانة ، مراكز هامة للحضارة العربية الاسلامية [٥٩] .

عناصر السكان في مجتمع ما وراء النهر :

يتألف مجتمع ما وراء النهر من عدد من العناصر السكانية ، والتي شكلت بنيته الاجتماعية ، عن طريق التعايش والتعاقب فوق اراضيه ومنذ اقدم العصور . وهذه العناصر هي :

١) التـرك

وهم من اهم العناصر السكانية واقدمها واكثرها عدداً في ما وراء النهر ، فهم يعدون من السكان الاصليين في مجتمعهم ، نظراً لاسبقيتهم عن باقي عناصر المجتمع في العيش على تلك الاراضي ، وكثرة اعدادهم التي شكلت منهم الاغلبية السكانية قياساً بغيرهم من الشعوب التي قطنت معهم ، وهؤلاء الترك ، قد تركوا موطنهم الاصلي في مناطق منغوليا ، ونزحوا الى ما وراء النهر ، على شكل مجموعات قبلية كثيرة ، ابرزها : الخزلجية ، والخرجزية ، والكيماكية ، والغزية ، والبجناكية ، والطغزغزية ، والخلخية ، والقلجية ، والغورية [٦٠] . كما ان بعض هذه القبائل ، عند نزوحها الى ما وراء النهر ، حاولت ان تسيطر على أوسع المناطق ، وأكبرها مساحة ، لان ذلك فيما يبدو يوفر لها سبل الرعي والانتشار فوق مساحات زراعية غير محدودة ، فضلاً ان هذا الامتداد يعد في عرفها نوعاً من النفوذ والقوة ما يميزها عن القبائل الأخرى المجاورة لها ، لذا اتخذ الترك الغزية من خوارزم الى اسبيجاب * مكاناً لاقامتهم ، بينما سيطرت قبائل الترك الخزلجية ، على المناطق الممتدة اسفل منها ، ما بين اسبيجاب الى اقصى فرغانة [٦١] . اما الترك الخزلجية ، فلم تحدد المصادر التاريخية مناطق انتشارهم وتوسعهم سوى انهم كانوا يسكنون قرب طراز [٦٢] ، بينما نجد ان قبائل التغزغز كانوا أوفر حظاً من غيرهم ، اذ سيطروا على أوسع واغلب مساحات أراضي ما وراء النهر ، حتى وصلوا قريباً من حدود الصين والتبت * [٦٣] . لذا يمكن القول ان الترك هناك قد شكلوا العنصر الأساسي وغالبية سكان اهم مدن ما وراء النهر ، كاشروسنة والختّل وفرغانة والشاش واسبيجاب وسمرقند [٦٤] والتي تواجدوا فيها منذ اقدم العصور ومارسوا حياتهم الطبيعية ، اذ عمل البعض منهم في مجال التجارة ، لا سيما في سمرقند ، لأنها مجمع التجارات ، ومنطقة تجارية عظيمة لبلاد ما وراء النهر [٦٥] ، كما ساهم البعض منهم في الأحداث السياسية التي مرت بها مدينتهم خلال مراحلها التاريخية المختلفة [٦٦] .

ولعل سبل العيش المتوفرة لهم في مناطق ما وراء النهر ، والنمو الصناعي والتجاري هناك ، ادى الى زيادة أعدادهم بصورة كبيرة في اغلب المدن التي يقطنونها ، فكانوا اذا خرجوا للحرب ، لم يبن على أهلهم فقدهم [٦٧] ، لذا فهم يشكلون قوة عسكرية وسياسية مؤثرة ، اذا ما تعرضت مناطقهم للاخطار ، فهم عندئذ يؤلفون تحالفاً قوياً ضد أعدائهم ، على الرغم من خلافاتهم ونزاعاتهم المستمرة ، فكانوا يجتمعون ليحمي بعضهم بعضاً [٦٨] . وقد اشارت بعض المصادر التاريخية الى دور هؤلاء الترك في ما وراء النهر واجتماعهم وتحالفهم على شكل جيوش كبيرة ، عند اجتياح العرب المسلمين لهم خلال عمليات الفتوح المنظمة طوال العصر الاموي [٦٩] ، فضلاً عما يمتلكه هؤلاء من القوة والبأس والطباع

الجافية ، والعدد الحربية [٧٠] ، ما مكنهم من التصدي والمقاومة ، ولهذا نجد ان إخضاع هذه المنطقة قد استنزف من قوى المسلمين واستنفذ كثيراً من جهودهم وحملاتهم [٧١] .

٢) الفــرس

لقد تركت الاحداث السياسية التي صاحبت تولي كسرى انوشروان ملكاً على عرش الدولة الساسانية [٧٢] ، اثراً واضحاً مهّد لاجتياح انوشروان مناطق ما وراء النهر ، ولعل تأمين التجارة وطرقها مع الصين عبر ما وراء النهر كانت من بين دوافع هذا الاجتياح ، لاسيما وان هذا الامر كان عرضة للتأثير والتلكؤ اثر الصراعات المحلية بين قبائل ما وراء النهر مما اثر سلباً على الحياة الاقتصادية والسياسية للدولة الساسانية ، لذا قام انوشروان بمهمة فريدة وخطيرة في سياسة دولته ، تمثلت باجتياح ما وراء النهر ووضع حد لخطر الترك الذي كان يهدد مملكته منذ العهود التي سبقته ، ولم تشر المصادر التاريخية الى المراحل التي صاحبت هذا الاجتياح ، اذ جاء الكلام فيها مقتضباً ، الا ان ما يهمنا فيه هو التغيير الاجتماعي الذي صاحب او رافق هذا الاجتياح ، لا سيما وان انوشروان قد ادرك اهمية تغيير التركيب السكاني للمنطقة ، عن طريق زج الفرس واسكانهم هناك ، ليكونوا فيما يبدو عيناً لمراقبة تحركات ونشاطات الترك ضد دولته ، فضلاً عن كسر اواصر مجتمع الترك عن طريق الاندماج والانصهار مع الفرس ، فقد اشارت بعض المصادر ان انوشروان قام بنقل عدد من الفرس مع عائلاتهم واسكنهم في فرغانة وسماها (ازهرخانة) ، أي من كل بيت [٧٣] ، ولم تذكر هذه المصادر عدد العائلات المهجرة او ظروف انتقالها ، والتي يبدو انها رافقت العمليات العسكرية هناك ، وجاءت مصاحبة له ، وان اغلبها فيما يبدو كانت من عوائل الجيش المشارك في عمليات الاجتياح ليصبح استقرارهم في تلك المناطق افضل فيما لو كانت عائلاتهم داخل مدن الدولة الساسانية نفسها ، وبذلك يرابط هؤلاء مع عائلاتهم هناك. ولعل هذا الامر قد فتح المجال لهجرات اخرى متعددة ، لم تشر اليها المصادر التاريخية بصورة واضحة ودقيقة . وربما كان الاصطخري ، حينما اشار الى " أن اصل أهل بخارى في قديم الايام ناقلة اصطخر * " [٧٤] ، كان يعني دون شك الى العوائل التي تم نقلها الى هناك خلال عهد انوشروان والعهود التي تلته ، والتي استمرت تتدفق على الكثير من مدن ما وراء النهر ، حتى قيل ان في شلجي * وحدها ، عشرة الآف اصفهاني [٧٥] وفي بخارى كانت هناك رعية مختلطة من الفرس والترك ، تحكمها احدى الاسر التركية المتنفذة [٧٦] ، اذ استطاع الفرس ان يتعايشوا في مجتمعهم الجديد ، ويقيموا علاقاتهم المشتركة ، وتكون لهم أماكنهم وأحيائهم الخاصة بهم ، داخل المدن التي تشكل أغلبية سكانية من الترك ، فمحلة ماخ في بخارى ، كانت تنسب الى رجل مجوسي من الفرس ، كانت له فيها سوقاً قديمة [٧٧] . ولم يقتصر دور الفرس هناك على الجانب التجاري وممارسة نشاطاته المختلفة ، والذي يبدو ان دورهم في هذا المجال كان محدوداً نظراً لان الترك قد سبقوهم في ذلك ، ولهم خبرة ودراية فيها أكثر من غيرهم ، لذا فأن اغلب الفرس الذين سكنوا بلاد ما وراء النهر ، قد مارسوا الزراعة كنشاط اجتماعي خلال حياتهم هناك [٧٨] . الا ان دورهم في الحياة السياسية هناك ، لم يكن واضحاً ، ولعل قوة الترك وغلبة أعدادهم ، كانت طابعاً قد اضعف دور الفرس هناك ، الا انهم اشتركوا مع بعضهما في التصدي للعرب ، اذ عند اجتياح العرب لبلاد ما وراء النهر ، لم يكن خصومهم الترك وحدهم بل شاركهم في ذلك الفرس ايضاً [٧٩].

٣) العــرب

لقد عرف العرب مناطق ما وراء النهر منذ عصر ما قبل الإسلام ، والعصور الاسلامية الأولى ، من خلال رحلاتهم ونشاطاتهم التجارية مع الصين [٨٠] . الا ان استيطانهم واستقراهم هناك جاء مصاحباً لعمليات الفتح العربي الإسلامي لمناطق ما وراء النهر ، والذي تم خلال العصر الاموي ، اذ تعد محاولة المهلب بن ابي صفرة ، الذي تولى خراسان عام ٧٨ هـ / ٦٩٧ م ، أول محاولة من نوعها في تاريخ الولاة الذين حكموا خراسان ، في استيطان العرب هناك ، الا أنها لم تكن ناجحة ، بل فشلت ، على الرغم من بقائه في تلك المناطق لأكثر من سنتين [٨١] ويظهر ان ذلك يعود الى قلة جيشه وعدم تمكنهم من السيطرة على مناطق ما وراء النهر الواسعة ، والتي تمتاز بطبيعتها الصعبة ، خاصة وان

أراضيها لم يألف العرب القتال ومن ثم الاستقرار فيها ، بسبب وعورتها وكثرة الشعاب والجبال [٨٢] ، ولعل محاولة المهلب تلك كانت تهدف بالدرجة الأساس ، الغزو والحصول على الغنائم وتأمين الحدود [٨٣] ، الا ان مجيء قتيبة بن مسلم الباهلي خلفاً لال المهلب على ولاية خراسان ، قد غير كثيراً من السياسة القديمة ، وحلت محلها سياسة جديدة ، تقوم في أجبار القبائل العربية مع عوائلهم لإسكانهم تلك المناطق . وقد ساعد في نجاح خطته هذه ، الخلاف القائم بين ملوك وأمراء ما وراء النهر ، وبالتالي تقرب البعض منهم الى خصمهم قتيبة بن مسلم وبشتى الوسائل ، وطلب معونته [٨٤] . وعلى الرغم من المقاومة الشديدة التي واجهها قتيبة من قبل أهالي ما وراء النهر ، الا انه قد وفق بعد قتال طويل معهم على أسكان العرب هناك ، ففي عام ٩٦ هـ / ٧١٤ م ، حمل الناس مع عيالهم ليضعهم في سمرقند [٨٥] وهذا يعد اول استيطان منظم للقبائل العربية في ما وراء النهر ، فكانت قبائل من شيبان ومحارب والازد وباهلة وطي * ، قد استقرت في سمرقند [٨٦] كما استطاع قتيبة ايضاً ، بعد ان اثمرت جهوده في فتح فرغانة والشاش ومناطق اخرى في اقصى شرق ما وراء النهر ، اسكان العرب فيها [٨٧] .

ومن دون شك فأن أعداد العرب في تلك المناطق أخذت تزداد بعد عمليات الفتح واستقرار الوضع السياسي فيها ، اذ نفهم من كلام الطبري عن ولاية شعبة بن ظهير النهشلي * على سمرقند عام ١٠٢ هـ / ٧٢٠ م ، بأن اعداد العرب فيها وفي باقي مناطق ما وراء النهر ، كانت كبيرة ، عندما حثهم شعبة على ضرورة التجمع وقتال الخارجين على الدولة من أهل السغد [٨٨] . ولعل أعداد العرب المتزايدة ، قد مكنتهم من الاندماج والاختلاط مع مجتمعهم الجديد ، فبعد ان كان أهالي اشروسنة يمنعون العرب ان يجاوروهم ، الا ان رجلاً من بني شيبان استطاع ان يقيم بينهم ويتزوج منهم [٨٩] ، اذ يبدو ان رابطة الاسلام قد ألفت بين سكان تلك المناطق وبين العرب [٩٠] ، وبذلك تكونت بين الطرفين روابط مختلفة ، وتوثقت الصلة بين هذه الأسر وبين المجتمع العربي ، وبالتالي اندماج الثقافة والعادات بين المجتمعين [٩١] ، وقد تجلى اثر هذا الاندماج والاختلاط ما اشار اليه الجاحظ بقوله " ترى ابناء العرب والاعراب الذين نزلوا خراسان ، لا تفصل بين من نزل ابوه فرغانة وبين اهل فرغانة ، ولا ترى بينهم فرقاً ... " [٩٢] . كما استطاعت الثقافة الاسلامية ان تؤثر في ابناء مجتمع ما وراء النهر ، عندما اعتنقه الكثير منهم ، حتى قيل عن أهل ما وراء النهر بأنهم يوقفون أنفسهم وأموالهم في سبيل الجهاد ومن اجل الإسلام [٩٣] ، وعرف أهل خوارزم بأنهم سباقون الى تعلم القرآن والفقه [٩٤] ، ووصف أهل فرغانة " بأنهم اول سابق الى الحج ، لا يدخل البادية * قبلهم ولا يخرج منها بعدهم احد " [٩٥] . وهذا ان دلّ على شيء ، فأنه يدل على اثر الإسلام في مجتمع ما وراء النهر ، وتغلغل الثقافة الإسلامية فيه وتأثيرها على بعض معتقداتهم السائدة قبل إسلامهم ، وبالتالي اعتناق الكثير من الترك الدين الاسلامي ، وهؤلاء ، دون شك سيقومون بدورهم في نشره الى مناطق اخرى [٩٦] .

الطبقات الاجتماعية :

ان طبيعة مجتمع ما وراء النهر ، لا سيما في الفترة التي سبقت عمليات الفتح الإسلامي لمناطقهم ، تكمن في غلبة وانتشار الترك فوق جميع اراضي ومدن تلك البلاد ، وهؤلاء بأعتبارهم مجتمعاً قبلياً محارباً ، فأن حالات الصراع والنزاع بين قبائلهم ، بدت طابعاً مميزاً لهم ، حتى بعد نزوحهم من مناطقهم الاصلية واستقرارهم فيما بعد فوق اراضي ما وراء النهر ، اذ ان نزعتهم في السيطرة واظهار قوتهم ، بدت واضحة على اغلب قبائلهم ، وبسبب ذلك النزاع قد تفرقت هذه القبائل واستحوذت قدر استطاعتها على اوسع مساحة من الاراضي وسيطرت على مدن مختلفة ، وقام رؤسائهم بتكوين ممالك مستقلة لهم ، والتي يبدو انها بدأت بالظهور ، وتشكلت بعد غزو الاسكندر المقدوني لبلاد ما وراء النهر ، تقليداً للمدن اليونانية او الممالك التي انشأها الاسكندر في المناطق التي غزاها ومنها ما وراء النهر [٩٧] وهذه الممالك غير واضحة التاريخ او الحدود ، اذ ان بعضها يشمل اقاليماً واسعة والبعض الآخر اتخذ من بعض المدن مملكة له . اما اهمها واشهرها فهي تلك التي تقع في اعلى نهر جيحون وتسمى مملكة طخارستان [٩٨] ، وكذلك مملكة الختل او ختلان ، ومملكة الصغانيان [٩٩] . وهناك ممالك اخرى في وسط بلاد ما وراء النهر ، منها مملكة الصغد [١٠٠] ، وهذه المملكة تتكون من وحدات سياسية مستقلة ، كانت موجودة قبل الفتح العربي الاسلامي هناك ، اهمها سمرقند ، والتي تعد عاصمة لهذه

المملكة [١٠١] ، وربما كانت مملكة فرغانة ومملكة اشروسنة ومملكة الشاش [١٠٢] ، من ضمن الوحدات السياسية المستقلة لمملكة الصغد ، لا سيما وان البعض منها لم يرتبط اداريا ً بالعاصمة سمرقند ، بل كانت لها عاصمة خاصة بها ، فقد كانت كاسان * عاصمة لمملكة فرغانة ، والتي اتخذها بعض ملوك الترك مقرا ً لهم ، ووصفت بأنها مدينة جليلة القدر ، عظيمة الأمر [١٠٣] . كما ورد الكلام ايضا ً عن مملكة خجندة ، في فترة ما قبل الاسلام [١٠٤] ، والتي يبدو انها كانت خاضعة لملك فرغانة [١٠٥] ، على اعتبارها احدى المدن الكبيرة التي تقع ضمن الحدود الادارية لفرغانة [١٠٦] . ولم تشر المصادر التاريخية الى الفترة التي كان هؤلاء الملوك يتمتعون بسلطاتهم ، او طبيعة نظام الحكم فيها ، الا ان القاسم المشترك بينها ، انها كانت حضارات اقليمية ريفية او بدوية قديمة [١٠٧] ، تدين بالولاء المطلق الى ملكها ، لا سيما وانهم يتحالفون اثناء الحروب ضد اعدائهم ، وكان نظامهم الا يمّد بعضهم بعضا ً اثناء الحروب ، الا بأذن الملك [١٠٨] . كما ان جميع هذه الممالك ، كانت تعترف بسلطة الخان او الخاقان * سيدا ً لها ، وتدفع له الاموال [١٠٩] ، اذ يبدو ان هذا الخان كان يسيطر على جميع الترك ، بما فيهم ترك ما وراء النهر ، وانه قد يقوم بمهمة قيادة الجيش للقتال اذا تطلب الامر [١١٠] . ولا نعرف اين توجد مملكة الخان او حدودها ، فياقوت اشار ان بلاد خاقان هي بلاد التغزغز ، والتي حدها الصين ، وهذا الملك يعيش في مدينة حصينة [١١١] ، لها اثنا عشر بابا ً من حديد ، وكان الخاقان يجلس في خيمة من ذهب على اعلى قصره ، تسع مائة رجل وترى من مسافة بعيدة [١١٢] ، ولمملكته هذه قانون خاص يعرف بأسم (ياسه) [١١٣] ، والذي يبدو ان فيه جميع نظم مملكته والممالك الاخرى التي تتبعه وتدين له بالولاء ، بما فيها ممالك ما وراء النهر .

لقد احاط ملوك ما وراء النهر انفسهم – باعتبارهم اعلى طبقة اجتماعية – بهالة من الاحترام والتقديس ، لا يحق للعامة او الطبقات الادنى ، المساس بها او مشاركتهم امتيازاتهم ، وقد تجلى هذا الامر لدى الطبقات الدنيا من المجتمع الذين كانوا يسمون ملوكهم ارباباً [١١٤] . كما ان هؤلاء الملوك قد اتخذوا لانفسهم القاباً تميزهم عن باقي طبقات المجتمع ، والتي يدل معناها على التفخيم والاحترام والتعظيم ، فلقب الاخشيد ، الذي أطلق على ملوك فرغانة [١١٥] ، كان يعد اقوى الالقاب واكثرها هيبة ، لانه يعني ملك الملوك [١١٦] ، ولعل هذا اللقب كان يُقصد به الاشادة بفضائل هذا الملك ، وتكريمه ، او الاشادة بقوته واقرار حقه ، لا سيما اذا عرفنا ان هؤلاء الملوك ، كانوا يسيطرون على مناطق واسعة في بلاد ما وراء النهر ، ويمتلكون الاموال والضياع والقصور ، اذ كانت للأخشيد في سمرقند بعض القرى والقصور [١١٧] . كما كان لقب الافشين يطلق على ملك سمرقند ، وخوارزم شاه ، على ملك خوارزم [١١٨] ، وقد استمر تداول هذه الالقاب ، حتى خلال سيادة العرب المسلمين على بلاد ما وراء النهر ، لا سيما في العصر العباسي الثاني (٢١٨ – ٣٣٤ هـ / ٨٣٣ – ٩٤٥ م) ويبدو ان ذلك يدل على اتساع الممالك الاسلامية وانضوائها تحت الحكم العباسي ، وصفة العالمية التي وسمت بها الدولة ، فضلا ً عن ان هذه الظاهرة ترتبط ارتباطا ً وثيقا ً باستخدام الخلفاء العباسيين للاتراك الذين رغم دخولهم في الاسلام ، الا انهم ظلوا محتفظين بعنصريتهم ، وحبهم لتقاليد بلادهم ، وأن الاقبال على التلقيب بألقاب ملوكهم يدل على مظاهر حنينهم الى تقاليدهم [١١٩] .

ومن القاب الملوك الاخرى ، فقد كان ملك ما وراء النهر ، يسمى كوشان شاه ، وملك سمرقند (طرخان) * ، وبخاراخداه كان ملكا ً لبخارى ، وملك الختّل ، يسمى (ختلان شاه) . كما كان للملوك الصغار في بلاد ما وراء النهر ، القاباً خاصة بهم ، مثل : طرخان نيزك ، وغوزك ، وسهراب ، وفورك [١٢٠] . ولم تتطرق المصادر التاريخية الى ادوار هؤلاء الملوك الصغار ، ولعلهم كانوا من طبقة النبلاء الذين لهم امتيازاتهم الخاصة ، وربما يعيشون في مدن مستقلة اخرى ، منفردة عن مدينة ملكهم ، ويبدو انهم كانوا نواباً لملوكهم على تلك المدن التي يحكمونها ، وربما كان الصوارتكين ، الذي كان نائباً لملك فرغانة [١٢١] ، احد هؤلاء الملوك الصغار ، ممن كانت لهم مهمة قيادة وتجهيز الجيش للقتال ، والعمل على ارسال اموال الضرائب للملك الذي يتبعونه ، ويدينون له بالولاء . ونظرا ً لاتساع الممالك والدول الاسلامية خلال العصر العباسي ، واتساع نطاق استخدام الالقاب والنعوت ، فقد اتخذ بعض الامراء القاباً خاصة بهم ، فقد كان السامانيون ، الذين حكموا خراسان وما وراء النهر (٢٠٤ –

٣٨٩ هـ / ٨١٩ ــ ٩٩٩ م) تحت ظل الدولة العباسية ، كانوا يعرفون بأنهم (ملوك) ما وراء النهر [١٢٢] ، ولعل هذا الأمر يعد تأثراً بما كان متداولاً في بلاد ما وراء النهر من استخدام هذا اللقب ، فضلاً عن ان هذا الامر قد يعني ان امر ادارتهم لتلك البلاد ، اصبح متوارثاً ، يتعاقبه ابنائهم من بعدهم ، كما هو حال طبقة الملوك هناك .

وهناك طبقة اجتماعية اخرى ، جرى الحديث عنها ، ضمن طبقات مجتمع ما وراء النهر ، الا وهي طبقة الامراء ، وهؤلاء لم يكونوا سوى المقدمين من النبلاء ، ومهماتهم اقتصرت في الحصول على الامتيازات والمناصب المهمة في ممالكهم ، فقد ورد ذكرهم ضمن الحرس الخاص بالملوك ، وهم الذين اطلق العرب عليهم اسم (الشاكرية) [١٢٣] . ويظهر من كلام النرشخي في وصفه لقصر ملكة بخارى (خاتون) *، ان لديها حرساً خاصاً ، أشبه ما يكون بحرس شرف ، ينخرط في سلكه الشبان من أبناء طبقة النبلاء ، ومهمتهم كانت في المحافظة على قصر الملكة ، وكان لهم زيّهم الخاص بهم ، اذ يتمنطقون بالذهب ، ويحملون سيوفاً ذهبية ، ويتناوبون في العمل مع غيرهم كل يوم [١٢٤] ، وربما كان مثل هذا النظام ، موجوداً لدى بقية ملوك ما وراء النهر . كما كان هناك امراء ، هم من طبقة النبلاء المحليين ، كانوا الى جانب الامراء الكبار ، وسلطة هؤلاء لم تكن تتجاوز حدود ما يمتلكونه او يسيطرون عليه من اراضٍ او قرىً [١٢٥] ، ويبدو ان دورهم السياسي والاداري والاجتماعي كان ضعيفاً ، قياساً مع الطبقات الاخرى ، بحيث لم تشر اليه المصادر التاريخية . اما اقوى هؤلاء النبلاء واكثرهم نفوذاً هم الدهاقين ، الذين كانوا من اكثر المتنفذين في بلاد ما وراء النهر ، على عكس اقرانهم في خراسان ، اذ ليس هناك قوة سياسية او اجتماعية ، تستطيع ان تكبح جماح سيطرتهم على الاراضي [١٢٦] ، ويبدو انهم كباقي الامراء الاقوياء والمتنفذين ، قد تمتعوا بمكانة خاصة ، وامتلكوا القرى الواسعة والقصور الفسيحة ، والمدن الكبيرة ، فكانوا اشبه بأمراء محليين تعتمد عليهم حكوماتهم ، وتحسب حسابهم ، ومن هؤلاء خورتكين الدهقان ، الذي كانت مدينة اوزكند في فرغانة مُلكاً له [١٢٧] ، ويبدو انه من امراء الترك المتنفذين هناك ، كما كانت له محلة * اخرى باسمه [١٢٨] . ومن دهاقنة الترك الآخرين ، المزربان بن تركسفي الذي كان من اكبر دهاقين سمرقند ، ويمتلك رستاقاً * بأسمه [١٢٩] . ولم تقتصر هذه الطبقة من النبلاء على الترك وحدهم ، بل شاركهم فيها بعض العرب القاطنين هناك . الا ان أدوارهم العامة ، لاسيما الاجتماعية والسياسية كانت ضعيفة ، بحيث لم تتطرق اليها المصادر التاريخية ، ويبدو ان دورهم اقتصر على امتلاك الأراضي الزراعية والقرى ومنافسة او مشاركة الترك في ذلك ، ومن هؤلاء ما اشار اليه الاصطخري ، بأن بعض افراد من قبيلة بكر بن وائل * العربية ، قد امتلكوا قرىً كثيرة ، في بعض مناطق سمرقند ، وكانت لهم فيها دور ضيافة ، واراضٍ ومزارع سميت بأسمهم [١٣٠] ، كذلك كان بكر بن ملك * من كبار الدهاقين العرب الذين اشتهروا في فرغانة [١٣١] .

اما دور هؤلاء الدهاقين - لاسيما الترك منهم - فقد ارتبطت مصالحهم مع مصالح طبقة النبلاء ، وكان لهم دور سياسي واضح لاسيما في الفترة التي صاحبت عمليات الفتوح العربية الاسلامية في اراضيهم ، اذ قادوا بعض التمردات والثورات مع الاهالي هناك ، دفاعاً عن مصالحهم وامتيازاتهم الخاصة ، مما اضطر العرب احياناً للاستعانة بهم ، وعقد الصلح معهم للحد من تذمر الاهالي وثوراتهم في بعض المدن [١٣٢] ، لذا يبدو انهم كانوا يشكلون طبقة اجتماعية مترفة على حساب الطبقات العامة من الاهالي ، وتحت انظار الدولة ورجالها وقتذاك ، مدفوعين بالحفاظ على مراكزهم ومناصبهم وثرواتهم .

وتعد طبقة التجار ، من الطبقات الاجتماعية التي تحضى بمكانة لا تقل اهميتها عن باقي الطبقات الاخرى ، اذ جمع هؤلاء ثرواتهم عن طريق تجارتهم الرائجة مع بلدان ومدن العالم الاخرى لا سيما الصين [١٣٣] . ونجد في رواية الطبري عن هجرة اهل السغد عن بلادهم عام ١٠٣ هـ /٧٢١ م بأنه يثني على مكانة هؤلاء التجار ، الذين كانوا بين الاهالي المهاجرين ، ويساوي بينهم وبين الامراء والملوك - على حد قوله ــ [١٣٤] . اما النرشخي ، فيستدل من كلامه بصدد تجار بخارى ، انهم يمتلكون عقارات واسعة ويسكنون قصوراً منيعة ، وان مكانتهم لا تقل في شيء عن مكانة الدهاقين [١٣٥] . لذا فإننا نجد انفسنا امام مجموعة من الاثرياء ، ارتبطت مصالحهم بمصالح الطبقات الغنية الآخرى ، ولسنا امام طبقة

مستقلة ، اذ لا توجد لدينا معلومات دقيقة عن وجود عداء او مشاكل بين التجار والدهاقنة او مع غيرهم من باقي الطبقات ، ولا نعرف طبيعة العلاقة بينهم بدقة ، الا انه يمكن القول انهم اشتركوا مع بقية طبقات مجتمع ما وراء النهر ، بأنهم كانوا شعباً مقاتلاً [١٣٦] . اما اماكن تواجد هؤلاء التجار ، فقد انتشروا في اغلب المدن الكبيرة والتي تمتاز بالحركة والنشاط التجاريين ، لاسيما سمرقند التي كانت تمتاز بوفرة مالها ، بسبب وجود التجار وحركة التجارة فيها [١٣٧] . كما انتشر التجار في خوارزم ، بسبب حركة تجارتها القوية مع بلاد الترك الغزية في شرق ما وراء النهر ، ونشاط القوافل التجارية التي تخرج منها بمختلف السلع والمتوجهة الى خراسان وبلدان اخرى ، فكانت محط انظار التجار لممارسة اعمالهم فيها [١٣٨] فجمعوا ثروات طائلة ، لا سيما عن طريق تجارتهم مع الترك واقتناء المواشي [١٣٩] . كما انتشر تجار الانسجة القطنية (الكرابيسيين) في تسحان احدى مدن فرغانة ، وانشأوا فيها سوقاً خاصاً بتجارتهم [١٤٠] . كما نجد التجار ايضاً قد انتشروا في اغلب مدن فرغانة وفي الشاش ، ومارسوا أعمالهم هناك ، فكانوا يجنون ارباحاً طائلة عن طريق تجارتهم المتنوعة [١٤١] . وقد تميز هؤلاء ممن كانوا يملكون الأموال الكثيرة بأنهم ينفقون اموالهم في وجوه الخير المختلفة ، كمعونة الضعفاء ، وعمارة الطرق ، وغيرها من الاعمال الخيرية ، اعتقاداً للسماحة في أموالهم ، اذ لا يوجد فيهم صاحب ضيعة * ، الا وكانت همته ابتناء قصر فسيح ومنزل للاضياف ، فتراه عامة دهره متأنقاً في اعداد ما يصلح لمن طرقه [١٤٢] .

اما الطبقة العامة في مجتمع ما وراء النهر ، فهي تشكل شريحة مهمة داخل مجتمعها ، لاسيما وان اغلبهم من الصناع وأصحاب المهن والفلاحين ، وهؤلاء يمثلون اغلبية سكان ما وراء النهر ، وانهم مارسوا عملهم منذ فترات طويلة ، وطوروا حاجاتهم وصناعاتهم بما يلائم متطلبات مجتمعهم ، كما عملوا – لا سيما اصحاب الحرف – على تنشيط الحركة التجارية والصناعية والزراعية في مدنهم ، لذا فأن دورهم لا يقل اهمية عن دور التجار والوسطاء في رفد وانعاش الحياة الاقتصادية لمجتمعهم ، فصناع الآلات والاسلحة في فرغانة ، كان لهم دوراً كبيراً في رفد اسواق ما وراء النهر واسواق بلدان اخرى [١٤٣] ، كذلك كان لطبقة الحرفيين الذين انتشروا في (بنكث) قصبة الشاش ، دور فاعلاً في تميزهم عن غيرهم في صناعة القسي * ، اذ كانوا يحكمون عملها ، وماهرون في صناعتها ، فقد كانت اطرافها رخوة وحسنة ، كما انتشر الصوافون في دارزنجي ** ، والذين امتهنوا صناعة الاكسية الصوفية ، اما البناءون الماهرون في عملهم ، كانوا يمثلون شريحة اجتماعية مهمة في كاث *** [١٤٤] . كما كان الحرفيون الذين يصنعون الاواني من الطين والزجاج في سمرقند [١٤٥] ، دوراً فاعلاً في مجتمعهم وسد حاجاته عن طريق توفير بعض الصناعات المهمة والتي يعتمد عليها الكثير من الناس وبمختلف طبقاتهم وشرائحهم الاجتماعية . ولعل توفر المواد الاولية اللازمة لنشوء بعض المهن والصناعات ، فضلاً عن متطلبات المجتمع الملحّة للمصنوعات وبمختلف اشكالها ، وعدم وجود موانع اجتماعية تعيق ممارسة هؤلاء لاعمالهم وتعزلهم عن باقي الطبقات ، فأننا نجد ان الكثير من الاهالي قد مارسوا صناعات وزاولوا مهناً مختلفة بما يقيم بأنفسهم وحاجاتهم اولاً ، وما يرفد اسواقهم وحركة التجارة في بلدانهم ثانياً ، ولعل قيام الاهالي في ويزار * القريبة من سمرقند بصنع الثياب المنسوبة اليهم ، والتي تنسج من القطن ، بانها امتازت بجودتها وصحة صنعتها وحسن عملها ، بحيث لم يكن بخراسان امير ولا وزير ولا قاضٍ الا وهو يلبسها ظاهرة على ملابسه في الشتاء ، وجمالهم بها ظاهر ، لانها ثياب لينة الملمس يميل لونها الى صفرة الزعفران [١٤٦] . كما بلغت أهمية الحرفيين ، الى درجة كبيرة ، بحيث ان تخطيط المدينة ، التي بنيت اساساً على فكرة السوق قد قرر في كثير من الحالات وفق متطلباتهم [١٤٧] ، فظهرت اسواقٌ خاصة بصناعاتهم ، كسوق الكرابيسيين في فرغانة [١٤٨] ، واسواق القطن والاصواف في خوارزم . كما كان أصحاب المهن والصناعات يجتمعون في احد اسواق بخارى وفي وقت معلوم من السنة لترويج وبيع بضاعتهم [١٤٩] . كذلك نجد سوق الاساكفة في رنجد [١٥٠] . لذا فأن هذه الاسواق كانت من دون شك كغيرها من اسواق مدن ما وراء النهر ، مركزاً لاستقطاب التجارة والتجار ومجالاً حيوياً للنشاط المالي ، وبهذا يعد السوق من العناصر الاساسية في رخاء المدينة وازدهار حياتها الاقتصادية ورفاهها الاجتماعي . وقد بلغ تحسن احوال هذه الطبقة الاجتماعية درجة كبيرة خلال

العصور الاسلامية ، لا سيما في عهد السامانيين ، وذلك لاستتباب الامن وازدهار الحركة التجارية والصناعية ، وهذا ، ما اشار اليه النرشخي ، حول شراء اهل الحرف لاراضي المُلاّك ، وبمعاونة الامراء السامانيين وقتذاك (١٥١) . ولعل افضل تصوير لنمو الصناعة ، وازدهار الحرف في بلاد ما وراء النهر ، هو ذلك الذي ينعكس في قائمة المنتجات التي عرفت بها كل مدينة ، كما يوردها المقدسي (١٥٢) .

اما الفلاحون ، فهم ايضاً لا يقلون اهمية عن اقرانهم من الحرفيين واصحاب المهن، لا سيما وان مجتمع ما وراء النهر اعتمد بدرجة كبيرة على الزراعة ، بسبب توفر الظروف الملائمة لها من انتشار الانهار والمياه العذبة ، والتربة الخصبة في اغلب مناطق ما وراء النهر ، الامر الذي ادى الى انتشار المزارع والقرى الزراعية ، بحيث لا يخلو مكان منها ، وبلغت القرى الزراعية في ما وراء النهر الى اكثر من ثلاثمائة الف قرية (١٥٣) . وهذا الانتشار الواسع للمزارع ، فضلاً عن اهتمام الفلاحين بعمارة اراضيهم ومزارعها ، قد ادى بالنتيجة ، الى وفرة الانتاج الزراعي ، الذي بات يفضل عن حاجة اهله ، وان اطعمتهم وفواكههم ، بلغت من السعة والكثرة ، حتى باتت ترعاها حيواناتهم ودوابهم (١٥٤) . كما مارس الفلاحون الى جانب الزراعة ، تربية الحيوانات وبمختلف انواعها ، وبسبب الاهتمام بتربيتها فضلاً عن وفرة الكلأ والطعام اللازم لها ، ازدادت إعدادها بكثرة ، حتى ان الشخص الواحد منهم ، بات يمتلك ما بين المائة الى خمسمائة دابة ، وهو ليس بتاجر (١٥٥) ، اما مساكن هؤلاء الفلاحين ، فهي بلا شك بسيطة ، قياساً للطبقات الاجتماعية الغنية الاخرى ، ولا يتعدى بنائها من الطين او الحجر (١٥٦) ، المجلوب من الانهار القريبة منهم او الجبال المحاذية لقراهم ، والتي يبدو انها رخيصة التكاليف ، وان العمل بها يعد بسيطاً ، وغير مكلف ، الامر الذي جعل هؤلاء يتخذونها مادة سهلة لبناء مساكنهم .

وهناك طبقة اجتماعية مهمة في مجتمع ما وراء النهر ، لا يمكن التغافل عنها ، الا وهم طبقة المحاربين او (المطوعة) ، وعلى الرغم من ان هؤلاء يعدون من صفوف الجيش النظامي او من تشكيلاته ، الا انهم في ما وراء النهر ، كانوا يشكلون طبقة اجتماعية مهمة ، لا سيما وان معظم هؤلاء هم من ابناء الفلاحين الذين تدفع بهم قراهم باتجاه الخطر ، حتى سماهم النرشخي " عسكر القرى " (١٥٧) ، ويبدو ان هؤلاء قد انخرطوا في خدمة امرائهم وملوكهم الى جانب تشكيلات الجيش النظامي ، وكانوا يلعبون دوراً هاماً في القتال لاستخدامهم في انهاك قوى العدو قبل الدخول في المعركة (١٥٨) ، وان اعدادهم كانت كبيرة ، اذ لا توجد قرية من قرى ما وراء النهر ، الا ويخرج منها فارس او راجل ، لا يبين على اهلها فقدهم ، والذين امتازوا عن غيرهم بالبأس والجرأة والشجاعة والاقدام في الحروب (١٥٩) ، ويتضح من ذلك ان اكثر اهالي ما وراء النهر هم من حملة السلاح ، لذلك قيل عنهم بأنهم " ليس في الاسلام ناحية اكبر حظاً في الجهاد منهم " (١٦٠) ، ولعل ذلك يفسر لنا سبب وجود الربط بكثرة في ما وراء النهر ، اذ ذكر الاصطخري ان بها " زيادة على عشرة الآف رباط " (١٦١) وهم يستنفرون في الحالات التي كان الخطر بها يهدد امن وسلامة مناطقهم ، ففي احداث عام ٢٩١ هـ / ٩٠٣ م ، اعلن الناس النفير عندما بات الخطر يهدد الدولة السامانية في ما وراء النهر ، عندما اراد الترك غزو المسلمين ، فخرج من هؤلاء المطوعة ناس كثيرون (١٦٢) .

وعلى الرغم من ان المقدسي الذي اشار الى اعداد جيش بعض مناطق ما وراء النهر ، ذكر ان الصغانيان وحدها تخرج من المقاتلة عشرة الآف جندي بنفقاتهم ودوابهم اذا خرج على السلطان خارجي (١٦٣) ، الا ان هؤلاء فيما يبدو ليسوا من العناصر الثابتة في الجيش او المسجلين في دواوين الدولة . كما اشار الاصطخري ايضاً ، ان عدد مقاتلة نصر بن احمد * بلغ في احدى غزواته ببلاد ما وراء النهر الى (٣٠٠) الف جندي ، وان اربعة الآف رجل انقطوا عن العسكر ، فضلّوا اياماً قبل ان يتهيأ لهم الرجوع (١٦٤) ، وهذا العدد الكبير ، تخرجه مدن وقرى ما وراء النهر فقط ، والذي يبدو ان معظمه كان من المطوعة الذين انخرطوا في قتال الترك ، طلباً للجهاد .

اما موارد هؤلاء وكسب عيشهم ، فهو دون شك يأتي من عملهم في هذا المجال ، اذ لم تكن لهم مهنة سوى القتال والجهاد ، كما كانت بعض مواردهم تأتي من الضياع التي تقطعها لهم السلطة ، بحيث

ان " مؤونتهم ومؤونة دوابهم وسلاحهم وعيالهم ومن نزل عليهم ، منها " (١٦٥) ، فهو بذلك اشبه بالاقطاع العسكري . ويبدو ان هؤلاء لم يكلفوا الدولة كثيراً في امور تسليحهم لا سيما وان اغلبهم من المحاربين الذين يمتلكون العدد اللازمة لقتالهم ، فضلاً عن توفر الاسلحة وتداولها في اسواقهم ، ورخص اسعارها ، لانها تصنع في بلدانهم ، فقد كانت فرغانة واسبيجاب تُعدان من اهم مدن ما وراء النهر ، فهما مركزان كبيران لصناعة السيوف والاسلحة وآلات الحرب (١٦٦) . اذ ان في بلاد ما وراء النهر من معادن الحديد ما يفضل عن حاجتهم في الاسلحة والادوات الحربية (١٦٧) .

وعلى الرغم من تعدد الطبقات الاجتماعية في بلاد ما وراء النهر ، الا انه يبدو ان التفاوت الاجتماعي فيها ليس كبيراً خصوصاً على المستوى الاقتصادي والمعاشي ، لا سيما واذا عرفنا ان ما وراء النهر ، يعد رخيص نسبياً بأسعاره ، اذا ما قيس مع المدن والبلدان الاخرى (١٦٨) ، بسبب توفر الانتاج الزراعي والحيواني والمعدني بدرجة كبيرة ، الامر الذي جعل الاصطخري يقول بأنهم استغنوا عن نقل شيء من غير بلادهم (١٦٩) ، في اشارة واضحة الى الاكتفاء الاقتصادي ، وارتفاع مستوى الحياة المعاشية لدى الافراد في مجتمعهم ، كما اشار النرشخي ايضاً الى رخص اسعار المواد الاستهلاكية المصنوعة كالملابس والادوات ، وغير ذلك ، مما ادى الى قيام تجارة رابحة في مدن وقرى بخارى (١٧٠) ، وقد ادى رخص الاسعار هذا وتوفر المواد المعاشية ، الى انخفاض مستوى المعيشة مع قناعة وطيب خاطر (١٧١) ، فيذكر ابن فضلان الذي شاهد مدينة الجرجانية قصبة خوارزم ، ان حملاً من الحطب وقت الشتاء ، يعادل ثلاثة الآف رطل * ، بسعر درهمين (١٧٢) ، اما ابن حوقل فقد ذكر ان الجريب * الصغير في سمرقند كان خراجه من ثلثي الى ثلاثة ارباع الدرهم (١٧٣) ، اما المقدسي فأنه وجد في فرغانه ثلاثة الآف جوزه ، تباع بدرهم (١٧٤) ، ويبدو ان هذا الامر قد انعكس على الاجور ، التي كانت متماشية مع اسباب المعاش ، فيروي كرديزي ، ان اجرة العامل الذي كان يعمل في الصفارة ، يبلغ ١٥ درهماً في الشهر (١٧٥) ، وهي نسبة تعد جيدة ، وتمثل دخل الطبقات الوسطى في المجتمع وقتذاك ، ولعله عندما يهبط الدخل ، ترى الاسعار تنخفض ايضاً (١٧٦) . ولقد أثر مستوى معيشتهم ورخصه وتوفر اسباب الحياة على صفاتهم الخلقية والاجتماعية ، فوصفوا بالكرم والجود ، والعطاء ، والسماحة ، ورحابة الصدر في الضيافة للغرباء (١٧٧) . كما ان المستوى العام للحياة الاجتماعية في ما وراء النهر ، يتصف بالبساطة ، والرخاء ، والرفاه ، لا سيما في طريقة بناء بيوتهم ، وطبيعتها ، اذ يصف المقدسي بيوت بنكث بأنها غالباً ما تكون فسيحة ، واقل بيت هناك الا وفيه بستان واصطبل وكروم (١٧٨) .

وفي سمرقند ، فأن اغلب بيوتهم وقصورهم قد ادخل اليها الماء من نهر جار ، ونادراً ما تكون هذه البيوت ، تخلو من بستان داخلها او مياه متدفقة ، تتشعب بحسب عدد الدور فيها (١٧٩) ، وفي بخارى اهتم معظم الناس بادخال الماء الى مساكنهم (١٨٠) ، ولعل اهتمام عموم اهالي ما وراء النهر بالنظافة ، واضفاء الجمال والحياة على مساكنهم هو ما جعلهم يمدون المياه الى مساكنهم ، حتى عمت الحياض والمياه الجارية اغلبها ، اذ قلما تخلو دار او سكة من نهر جار (١٨١) . كما انعكس المستوى المعاشي الجيد ، على نوع البناء لدى الطبقات العامة منهم ، فبعض بيوتهم أخذت توازي ما لدى الطبقات الغنية من التجار والنبلاء في شكلها او الاهتمام بمظهرها ، ففي مدينة بخارى ، قد بنى اغلب الناس مساكنهم من الخشب المشبك (١٨٢) ، وفي سمرقند وكش ، عمد الناس الى اضافة الخشب الى دورهم المبنية من الطين (١٨٣) ، وفي الصغانيان ، جعل الاهالي بيوتهم فسيحة البناء (١٨٤) ، لتضاهي فيما يبدو بيوت او قصور الطبقات الغنية ، والتي كانت منتشرة بأعداد كبيرة ، فقد اشار الاصطخري ، ان قصور الاغنياء في بخارى والممتدة على بعض انهار المدينة ، قد بلغت الآلآف (١٨٥) ولعل تقدم الحضارة ، واهتمام الناس بتوفير سبل الراحة لانفسهم في معاشهم ومساكنهم ، هو ما دعاهم الى العناية الكبيرة بمنازلهم وبيوتهم ، وتوفير سبل النظافة والرفاه والجمال فيها ، فقد كانت المياه في سمرقند تدخل الى دور وبساتين اهلها ، عن طريق نهر مغلف بالرصاص ، وعلى هذا النهر عمال مسؤولون للعناية به وسد بثوقه ومجاري انهاره وسكوره (١٨٦) ، مما يدل على اهتمام الجميع بمياه الشرب وتوزيعها على السكان

دون النظر الى طبقة دون اخرى ، وبذلك تساوى الجميع في الحصول على حقوقهم ومعاشهم ، حتى بدا الفرق ضئيلاً بين طبقة اجتماعية واخرى ، وتساوى الفقير والغني في المعاش والمأكل والملبس [١٨٧] .

بعض مظاهر الحياة الاجتماعية :

عرفت في بلاد ما وراء النهر ، بعض مظاهر الحياة الاجتماعية والتي تمثل قسم منها بالعادات والتقاليد التي مارسها المجتمع وتطبع بها الافراد ، والتي هي دون شك ليست منفصلة عن الفكر والمعتقدات القديمة ، التي توارثتها الاجيال ، وانها تجسد حركة المجتمع الانساني عبر التاريخ في نشاطاته الفكرية والدينية والاجتماعية عموماً ، اذ تتخلل تلك العادات بعض التقاليد والاشارات والرموز التي اندثر بعضها ، وبقيت بعض اثارها عالقة في النفس البشرية ، متجسدة في الطقوس والتقاليد الاجتماعية ، وان كانت غير واضحة المعالم والحدود ، لكنها بقيت وان جفت عروقها وذهبت اصولها [١٨٨] . ومن الملاحظ في مجتمع ما وراء النهر ، انه مجتمع قبلي ، متمسك بالتقاليد البدوية ، والتي تعد من ابرزها اكرام الضيف ، لا سيما وان في الكرم ، استمالة في قلوب الناس ، واستخدام الاشراف [١٨٩] ، كما ان اهالي ما وراء النهر ، انما يعملون ذلك رغبة في الخير واستجابة لمن دعاهم اليه [١٩٠] ، " لان في تركيبهم ، واخلاط طبائعهم ، من تركيب بلدهم ، وتربيتهم ومشاكلة مياههم ، ومناسبة اخوانهم ، ما ليس مع احد سواهم ... " [١٩١] ، ولعل اوضاعهم الاقتصادية الجيدة ، وظروفهم المعاشية الحسنة ، قد انعكس على طبائعهم الاجتماعية ، حتى قيل عن اهل ما وراء النهر ، بأنهم اهل يسار وعفة ومعروف ، وضيافة ، وتعظيم ، وان الفقير عندهم غانم والغني سالم[١٩٢] حتى ان السائل او الفقير – ان وجد في مجتمعهم- لا يكاد يخشى من العوز ، فلا يقف على باب ، بل يدخل الى أي دار يراها ، ويطلب ما يسد به جوعه ورمقه [١٩٣] ، وقد صور لنا الاصطخري عاداتهم في اكرام الضيف ما ليس عند غيرهم من المجتمعات ، فهم يتنافسون اذا ما طرقهم شخص ما ويتنازعون فيه ، وقد شهد منزلاً بالسغد في ما وراء النهر ، ضربت الاوتاد على باب داره ، وان بابها لم يردّ منذ مائة سنة او اكثر ، لا يمنع من نزولها طارق ، " وربما نزل بالليل بغتة من غير استعداد ، المائة والمائتان والاكثر ، بدوابهم ، وحشمهم ، فيجدون من علف دوابهم ، وطعامهم ودثارهم ما يعمّهم ، من غير ان يتكلف صاحب المنزل امراً لذلك لدوام ذلك منهم ، قد اقيم على كل عمل من يستقل به ، واعدّ ما يحتاج اليه على دوام الاوقات ، بحيث لا يحتاج معه الى تجديد امر عند طروقهم ، وصاحب المنزل من البشاشة والإقبال والمساواة لاضيافه ، بحيث يعلم كل من شاهده ، سروره بذلك وسماحته " [١٩٤] .

وبما ان مجتمع ما وراء النهر ، اغلبهم من الترك ، وان بعضهم ينتمون الى قبائل بدوية فقد كان من تقاليدهم ورسومهم انهم يجتمعون خلال اوقات الحروب ، ليحمي بعضهم الآخر [١٩٥] ، لا سيما وانهم يدينون بالولاء المطلق في حل مشاكلهم الى رؤوسائهم وملوكهم ، الذين وضعوا لهم رسوماً وقواعد خاصة بهم [١٩٦] ، وانهم يقدسونهم كالرب [١٩٧] تعظيماً ، واحتراماً لهم ، الا ان بعض امورهم داخل قبائلهم ، كانت تعتمد على المشورة والاتفاق ، ويحق لأي شخص مهما بلغت مرتبته الاجتماعية ان يعبر عن رأيه ، ولربما يستطيع ان ينقض ما اتفق او اجمع عليه اصحابه [١٩٨] ، ومن العادات والتقاليد التي كانت متبعة في مجالسهم تلك ، هو ان يضعون الذهب والفضة في الاطباق ، ثم يأتي ملكهم او رئيسهم ، ليمنح ما في هذه الاطباق لمن يرتأيه من الناس ويكرمه بها [١٩٩] . كما كانت لديهم بعض العادات القديمة ، التي تدل على تمسكهم بمعتقداتهم التي توارثوها ، فقد وجد العرب المسلمون حين دخلوا لفتح بلادهم ، ان اهالي ما وراء النهر كانوا يقطعون اذانهم وشعورهم واذناب خيولهم ، حزناً على موتاهم ، لا سيما ان كانوا من رؤسائهم او قادة جيشهم [٢٠٠] ، وانهم يقومون بحرق جثث موتاهم [٢٠١] ، ومن دون شك فأن اغلب تقاليدهم الوثنية تلك ، قد تغيرت وتبدلت ، بعد اعتناق الأهالي الدين الإسلامي ، وقد اشار المقدسي الى هذا الأمر ، عندما ذكر تأثير الإسلام في معتقدات الأهالي القديمة في ما وراء النهر ، فكانوا اسلم صدوراً وارغب في الجماعات ، فأهل سمرقند وصفهم بأنهم اهل جماعة وسنة ، واهل خوارزم ، كانوا اهل فهم وعلم وفقه [٢٠٢] .

اما المرأة ، فكانت تتمتع بالحرية والاحترام ، فأذا اراد الرجل ان يتزوجها ، فعليه ان يخطبها من ولي امرها اولاً ، والذي غالباً ما يكون ابيها او اخيها ، ولا يستطيع الزوج ان يصل الى زوجته ،

الا بعد ان يوفيّ ما تم الاتفاق عليه من مهر ، الذي يكون عادة اما جمالاً او دواباً او عدداً من الثياب [٢٠٣] ، ويبدو ان المرأة في الطبقات المتوسطة ، كطبقة الفلاحين ، تقوم بأهم وأجل الاعمال وجميع الاشغال ، لما تمتلكه من حصانة وشدة وجرأة ، وليس للرجال تصرف في اكثر من الحرث والحصاد [٢٠٤] ، اما ملابس وزي الطبقات الغنية من الملوك والنبلاء ، فلم تشر اليه المصادر التاريخية ، سوى ما جاء من اشارات قليلة عن ملابس بقية طبقات المجتمع في ما وراء النهر ، اذ كان العامة يلبسون الاقبية والقلانس * وغالباً ما كان اهل بخارى يلبسون ذلك [٢٠٥] . اما زي اهل خوارزم فكانت القراطق * والقلانس [٢٠٦] . اما كبراء القوم من الفقهاء وغيرهم ، يبدو ان لهم زيهم الخاص بهم ، اذ اشار المقدسي انه لا يتطيلس بما وراء النهر الا كبير [٢٠٧] . ولعل ارتفاع ثمن هذه الملابس ، هو ما جعل هؤلاء من اصحاب الطبقات الغنية ينفردون بلبسها ، اذ توجد بعض الثياب التي تصنع في بعض مدن ما وراء النهر ، بلغ ثمنها عشرين ديناراً ، والتي لا يلبسها الا امير او وزير ، لانها ثياب تفوق غيرها في جودتها وصحة عملها وحسن صنعتها [٢٠٨] . كما كان من مظاهر وعادات الطبقة الغنية في بخارى ، ان اتخذوا طائر الطاووس في دورهم رمزاً لغناهم [٢٠٩] .

وكانت عناية اهل البرّ بمياه الشرب ، تأخذ جانباً كبيراً لديهم ، ونالت عناية متميزة ، فيروي لنا الاصطخري وابن حوقل " وقلّ ما رأيت خاناً * او طرف سكة او محلة او مجمع ناس في الحائط ** بسمرقند يخلو من ماء جمد مسبّل ... ان بسمرقند في المدينة وحائطها فيما يشتمل عليه السور الخارج زيادة على الفي مكان ، يسقى فيها ماء الجمد مسبلاً عليه الوقوف من بين سقاية مبنية وجباب نحاس منصوبة وقلال خزف مثبتة في الحيطان مبنية [٢١٠] .

اما مسألة تصريف الافرازات الإنسانية وهي من المسائل العسيرة ، فيبدو انها كانت تحل في المدن التي تقوم على الانهار بنقلها في القوارب [٢١١] ، وفي مدينة خوارزم كانوا يجمعون البلاذات في الحفائر ، ثم ينقلونها الى السواد في المشافل * [٢١٢] .

ولاهالي ما وراء النهر ، نظام ضبط أسماء الداخلين والخارجين الى مدنهم ، اذ لم يكن في القرن الثاني للهجرة بالمشرق نظام لضبط اسماء الأغراب قبل دخولهم أبواب المدن [٢١٣] ، ويبدون ان هذه الحالة قد تغيرت في القرن الثالث للهجرة ، ومنذ فترة حكم الامير الطاهري محمد بن طاهر بن عبد الله الذي توفي عام ٢٩٥ هـ / ٩٠٧ م ، اذ نفهم من رواية النرشخي ، ان هناك ابواباً تغلق وابراجاً للمراقبة وضعت في سور مدينة بخارى ، لتأمين سلامة المدينة من دخول الاغراب او اللصوص او قطاع الطرق [٢١٤] . ولعل بقية المدن والمحاطة بالاسوار قد حذت مثل هذا الاجراء وكان لها حراسها الذين يقفون على ابوابها لتأمين سلامة مدنهم .

اما العوارض الطبيعية ، فأنها دون شك تؤثر بشكل فاعل على مستوى المعيشة وحياة السكان ، لا سيما الزلازل ، والتي ليس للانسان دور في صنعها ، اذ انها تلعب دوراً في الازمات الاقتصادية ، فقد تؤدي الى خسف الضياع وهلاك القرى وابادة الغلات الزراعية ، مما يؤدي الى الفاقة والعوز [٢١٥] . ففي عام ٢٢٣ هـ / ٨٣٧ م ، زلزلت الارض في فرغانة فمات تحت الهدم خمسة عشر الفاً من الناس [٢١٦] ، ومن الطبيعي ان هذه الازمة كانت تصيب جميع الطبقات الاجتماعية ومختلف فئات المجتمع ، الا انها كانت وقتية ومحدودة ، ولذلك لم يكن تأثيرها الا بشكل وقتي ، وضمن رقعة معلومة ومحدودة ، وعليه فأن المستوى العام للحياة الاجتماعية والاقتصادية في ما وراء النهر ، بقي محافظاً على رخائه وبساطته بشكل جيد .

الهوامش :

* وهو الاسم الذي اطلقه العرب على نهر أوكسس (Oxus) ، ويعرف ايضاً بأسم أمودريا، وكذلك نهر بلخ نسبة الى المدينة التي قامت على مسافة من ضفته الجنوبية . حول مزيد من التفاصيل عن اسمه ومنابعه؛ ينظر، قدامه بن جعفر : نبذ من كتاب الخراج ص ٣٣، ٤٨، الاصطخري: مسالك الممالك ص١٦٦، لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص٧٧ وما بعدها .

١) لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ٤٧٧ .

* وقد اطلق العرب على بلاد ما وراء النهر هذا الاسم نسبة الى الاقوام التي سكنته ، وهم قبائل مترحلة سيطرت على اجزاء كبيرة من اسيا ثم اوربا . لمزيد من التفاصيل عنهم ، ينظر ، المقدسي : احسن التقاسيم ص ٢١٤ وما بعدها ، لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ٤٧٧ وما بعدها ، Heli : The Hephthalites . P : 1 .

٢) المقدسي : احسن التقاسيم ص ٢١٤ .

٣) فيصل : حركة الفتح الاسلامي ص ٢٠٨ .

٤) وتكتب بالصاد (الصغد) ايضاً ، وهو بلد واسع له مدن كبيرة . ينظر ، اليعقوبي : البلدان ص ١٢٣ – ١٢٤ ، ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص ١٥ ، قدامة بن جعفر: نبذ من كتاب الخراج ص ٦٣ ، ٨٣ .

٥) وهذا الاسم أطلق على جميع الاراضي الخصبة المحصورة ما بين نهري جيحون غرباً وسيحون شرقاً . ينظر ، الاصطخري : مسالك الممالك ص ١٦٢ ، ١٦٥ ، ١٦٦، لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ٥٠٣ .

٦) ياقوت : معجم البلدان جـ٣ ص ٤٠٩ .

٧) ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ص ٣٢١ – ٣٢٢ ، لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ٤٧٦ .

* بمعنى عاصمته ، اذ اطلقت هذه التسمية للدلالة على اهمية هذه المدينة ، وانها المركز الرئيسي للمنطقة . ينظر ، ناجي : دراسات في تاريخ المدن ص ٦٧ وما بعدها .

٨) لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ٤٧٦ .

٩) الاصطخري : مسالك الممالك ص ١٦٨، لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ٤٧٦ .

١٠) الاصطخري : مسالك الممالك ص ١٨٢، لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ٥١٧ .

١١) لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٤٧٧. ولمزيد من التفاصيل حول توابع هذه الاقاليم من المدن والقرى ، ينظر ، ابن رسته : الاعلاق النفيسة ص ١٠٥ ، الاصطخري : مسالك الممالك ص ١٦٦ وما بعدها ، الحديثي : ارباع خراسان ص ٤٥١ وما بعدها .

* يشمل خراسان مساحات واسعة من الاراضي ، وقد فصّل الجغرافيون العرب حدوده ، وتوابعه . ولمزيد من التفاصيل حول ذلك ، ينظر ، الاصطخري : مسالك الممالك ص ١٦١ وما بعدها ، ابن حوقل : صورة الارض ص ٣٥٨ ، ٣٨١ .

١٢) ينظر ، اليعقوبي : البلدان ص ١٢٥ ، ١٢٦، ابن رسته : الاعلاق النفيسة ص ١٠٥ ، قدامة بن جعفر : نبذ من كتاب الخراج ص ٢٦ وما بعدها .

* هو عبدالله بن عامر بن كريز القرشي ، ابن خال الخليفة عثمان بن عفان ، توفي عام ٥٩ هـ / ٦٧٨ م . ينظر ، ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ٥ ص ٤٤ . ابن حبان : الثقات جـ٥ ص ٧ – ٨ .

١٣) فتوح البلدان ص ٣٩٠ ، ٣٩٤ ، تاريخ الرسل والملوك جـ٤ ص ٤٣ – ٤٤ .

١٤) العلي : تقسيمات خراسان ص ٢١ .

* وتسمى ختلان وخطلان ، وهي احدى توابع بلاد ما وراء النهر . ينظر ، ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص ٣٦ ، ٤٠ ، الاصطخري : مسالك الممالك ص ١٦١ .

** هي متجر للمسلمين من الاتراك ، ومن توابع الشاش في بلاد ما وراء النهر . ينظر ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص ٢٨ ، ابن حوقل : صورة الارض ص ٣٦٧ ، ياقوت : معجم البلدان جـ ٤ ص ٢٧ .

*** ويقال لها فاراب وباراب وفرياب وفيرياب ، وتقع على يسار نهر جيحون ، وهي من توابع الشاش . ينظر ، ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص ٣١ ، الاصطخري : مسالك الممالك ص ١٦١ .

**** وتقع في اعلى طخارستان متاخمة لبلاد الترك ، ينظر ، المقدسي : احسن التقاسيم ص ٢٣٩ ، لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ٤٧٧ .

١٥) مسالك الممالك ص ١٦١ .

* ومفردها كورة ، وهي منطقة جغرافية اوسع من المدينة ، لا سيما وان المدينة نفسها تعد جزءاً ادارياً او جغرافياً منها . ينظر ، ناجي : دراسات في تاريخ المدن ص ٦٦ .
** ومعناها : القرب . ومكان صقب ، يعني قريب . ينظر ، ابن منظور : لسان العرب جـ١ ص ٥٢٥ .
*** العمل ، هو الوحدة الادارية الاساسية والواسعة والذي يحتوي على عدة كور . ينظر ، العلي : ادارة خراسان ص ٣٢٨ . الداغر : فرغانة ص ٤٩ .
١٦) الاصطخري : مسالك الممالك ص ١٦١ .
١٧) الاصطخري : مسالك الممالك ص ١٦١ ، المقدسي : أحسن التقاسيم ص ٢١٤ ، القزويني : آثار البلاد ص ٥٥٧ ، وينظر ، ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ص ٢٩٦ في وصفه لبعض مدن ما وراء النهر .
١٨) الاصطخري : مسالك الممالك ص ١٦١ ، المقدسي : أحسن التقاسيم ص ٢١٤ .
١٩) الاصطخري : مسالك الممالك ص ١٦١ ، القزويني : آثار البلاد ص ٥٥٧ .
٢٠) الداغر : فرغانة ص ١٣ – ١٤ . وحول المزيد من التفاصيل عن ثروات ونزاهة بلاد ما وراء النهر ، ينظر ، الاصطخري ص ١٦١ وما بعدها ، المقدسي : احسن التقاسيم ص ٢١٤ وما بعدها ، القزويني : آثار البلاد ص ٥٥٧ وما بعدها .
٢١) بارتولد : تركستان ص ٥٦٤ .
٢٢) Brykina : Central Asia . P: 93 .
٢٣) محمود : الاسلام في اسيا الوسطى ص ١٣٦ .
٢٤) فيصل : حركة الفتح الاسلامي ص ٢٠٨ .
٢٥) نو : امبراطورية الهون ص ٢ ، نقلاً عن ، د. عمر فروخ : العرب والاسلام في الحوض الغربي جـ١ ص٢٢ .
٢٦) السلطاني : قتيبة بن مسلم الباهلي ص ٤٨ .
٢٧) ينظر ، الاصطخري : مسالك الممالك ص ١٦٣ ، القزويني : آثار البلاد ص ٥٥٨ .
٢٨) فيصل : حركة الفتح الاسلامي ص ٢٠٩ . الداغر : فرغانة ص ١٢٠ ، ١٣١ .
٢٩) ابن الاثير : الكامل في التاريخ جـ١ ص ١٣٥ .
٣٠) الصيني : العلاقات بين العرب والصين ص ٣ .
٣١) نو : امبراطورية الهون ص ٢ .
٣٢) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ٢١٤ ، ياقوت : معجم البلدان جـ٢ ص ١٤٤ ،٣٥١ ، الذهبي : سير اعلام النبلاء جـ ١٩ ص٥٥ .
٣٣) نو : امبراطورية الهون ص ١ .
* سيطرت الدولة الاخمينية (٥٥٠ - ٣٣١ ق . م) ، على اجزاء واسعة من بلاد فارس (ايران) والعراق . وحول تفاصيل تأريخها ، ينظر ، باقر : تاريخ ايران القديم ص ٤٥ وما بعدها ، كرستنسن : ايران في عهد الساسانيين ص ٤ – ٥ .
٣٤) لمزيد من المعلومات حول صراع الاخمينيين مع الروم ، ينظر ، الطبري : تاريخ الرسل والملوك جـ١ ص ٤٠٥ وما بعدها .
* حول تفاصيل حياة هذا الملك وصراعه مع الاسكندر ، ينظر ، الثعالبي : تاريخ غرر السير ص ٤٠٢ وما بعدها .
** اختلفت الروايات في تعريف الاسكندر ، لكن الراجح هو ابن الملك فيليب الثاني ، ملك مقدونيا ، ولد عام ٣٥٦ ق. م، وتولى العرش عقب وفاة والده ، عام ٣٣٦ ق. م ، واسقط الدولة الاخمينية . حول مزيد من التفاصيل ، ينظر ، الطبري : تاريخ الرسل والملوك جـ١ ص ٤٠٨ وما بعدها ، باقر : تاريخ ايران القديم ص ٧٥ وما بعدها .
٣٥) ينظر ، الدينوري : الاخبار الطوال ص ٣٧ ، باقر : تاريخ ايران القديم ص ٨١ ، سعيد : العراق في التاريخ القديم ص ٢٤٦ .

٣٦) حلمي : ٣٥٠٠ عام من عمر ايران ص ١٥٠ ، باقر : تاريخ ايران القديم ص ٦٧ ، كرستنسن : ايران في عهد الساسانيين ص ١٦ ، ٣٥ ، اشار قدامة بن جعفر الى المدن التي بناها الاسكندر في بلاد ما وراء النهر ومنها الاسكندرية القصوى ، ينظر ، نبذ من كتاب الخراج ص ٨٣ .
* هو ابن بهرام الملقب بكرمان شاه بن سابور ذي الاكتاف ، وقيل غير ذلك ، ويلقب بالأثيم لكثرة عيوبه . حول تفاصيل حياته ، ينظر ، الطبري : : تاريخ الرسل والملوك جـ٢ ص ٢٧ وما بعدها ، الثعالبي : تاريخ غرر السير ص ٥٧١ وما بعدها .
٣٧) لم تشر المصادر التاريخية الى اسباب الصراع مع يزدجرد الثاني ، ولعل سوء سيرته واهانته للملوك واستطالته على الناس ، ودهائه وما عرف عن مكره ومخاتلته ، واعتداده بقوته ومكانته هو ما اجج الصراع مع الهياطلة . حول ذلك ، ينظر ، الطبري : : تاريخ الرسل والملوك جـ٢ ص ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ .
٣٨) ينظر ، ابن الاثير : الكامل في التاريخ ص ٤٠٤ .
* هو كسرى انوشروان بن قباذ بن يزدجرد بن بهرام جور ويلقب بالروح الخالد ، حكم الدولة الساسانية ، حتى عام ٥٧٩ م . حول تفاصيل حياته واصلاحاته ، ومشاكله ، ينظر ، الطبري : تاريخ الرسل والملوك جـ٢ ص ٢٥٥ وما بعدها ، ابن اسفنديار : تاريخ طبرستان ص ١٥٨ – ١٥٩ ، كرستنسن : ايران في عهد الساسانيين ص ٣٤٨ وما بعدها .
٣٩) كرستنسن : ايران في عهد الساسانيين ص ٣٤٨ .
* هو فيروز بن يزدجرد بن بهرام جور ، احد ملوك الدولة الساسانية ، له حروباً ونزاعات طويلة مع الهياطلة . حول تفاصيل ذلك ، ينظر ، الطبري : تاريخ الرسل والملوك جـ٢ ص ٤٣ وما بعدها ، الثعالبي : تاريخ غرر السير ص ٥٧٣وما بعدها .
٤٠) الطبري : تاريخ الرسل والملوك جـ٢ ص ٥٩ .
٤١) ابن قتيبة : المعارف ص ٢٩٢ ، الطبري : تاريخ الرسل والملوك جـ٢ ص ٥٩ ، النويري : نهاية الارب جـ ١٥ ص ١٩١ – ١٩٢ .
٤٢) حول تفاصيل هذه الاحداث ، ينظر ، الطبري : تاريخ الرسل والملوك جـ٢ ص ٥٩ وما بعدها ، كرستنسن : ايران في عهد الساسانيين ص ٤٢٦ – ٤٢٧ ، ٤٧٨ ، ٤٨١ .
٤٣) ينظر ، فيصل : حركة الفتح الاسلامي ص ٢٠٩ .
٤٤) بروي : تاريخ الحضارات مج ٣ ص ٢٥٩ – ٢٦٠ .
٤٥) محمود : الاسلام في اسيا الوسطى ص ٤٥ .
٤٦) بارتولد : تركستان ص ٣٠٥ – ٣٠٦ .
٤٧) كذلك استنجد امير الصغانيان بقتيبة بن مسلم عام ٨٦ هـ / ٧٠٥ م ، ليعينه على امير شومان وأمير آخرون ، كما قدم قتيبة العون لامير خوارزم ضد اخيه الاصغر والثوار من الدهاقين ، وبهذا استطاع العرب ان يتناولون هذه الممالك كل على حدة فقضوا عليها . لمزيد من التفاصيل ، ينظر ، البلاذري : فتوح البلدان ص ٤٠٦ وما بعدها ، الطبري : تاريخ الرسل والملوك جـ٥ ص ٥١٥ وما بعدها ، بارتولد : تركستان ص ٣٠٣ .
٤٨) ينظر ، خليفة بن خياط : تاريخ خليفة بن خياط جـ ١ ص ٣٠١ ، الطبري : تاريخ الرسل والملوك جـ٥ ص ٤٩١ ، ٤٩٥ ، ٤٩٧، ابن اعثم: الفتوح جـ ٧ ص ١٥٧، ١٦٠.
٤٩) محمود : الاسلام في اسيا الوسطى ص ١٤٧ ، فيصل : حركة الفتح الاسلامي ص ٢٠٩ والذي اشار الى ان التفكك السياسي في حياة ممالك ما وراء النهر ، هو السبب في نجاح الفتح العربي هناك .
٥٠) ينظر ، البلاذري : فتوح البلدان ص ٤١٤ – ٤١٦ ، محمود : الاسلام في اسيا الوسطى ص ١٥٨ – ١٥٩ .

٥١) كتمرد بعض اهالي مدن ما وراء النهر تأييداً لعلي بن عيسى بن ماهان الذي عزله الرشيد عن ولاية خراسان وما وراء النهر عام ١٩١ هـ / ٨٠٦ م ، بسبب سوء سيرته ، ينظر ، الطبري : تاريخ الرسل والملوك جـ٧ ص ٢٧٢ .
٥٢) البلاذري : فتوح البلدان ص ٤١٤ ، ٤١٥ ، ٤١٦ .
٥٣) ينظر ، محمود : الاسلام في اسيا الوسطى ص ١٥٩ ، محمود واحمد الشريف : العالم الاسلامي في العصر العباسي ص ١٧٢ .
٥٤) الاصطخري: مسالك الممالك ص١٦٣– ١٦٤، ابن حوقل: صورة الارض ص٣٨٧ .
٥٥) البلاذري : فتوح البلدان ص ٤١٦ ، ابن تغري بردى : النجوم الزاهرة جـ ٢ ص ٢٢٣ ، بارتولد : تركستان ص ٢٦٢ .
٥٦) المسعودي : التنبيه والاشراف ص ٣٠٧ ، الاصطخري : مسالك الممالك ص ١٦٤ .
٥٧) الاصطخري : مسالك الممالك ص ١٦٤، ابن حوقل : صورة الارض ص٣٧٨ ، ياقوت : معجم البلدان جـ ٥ ص ٤٧ .
٥٨) الاصطخري : مسالك الممالك ص ١٦٣، ابن حوقل : صورة الارض ص٣٧٨ .
٥٩) الجميلي : مظاهر الوحدة في اقليم المشرق الاسلامي ص ٢٤٣ .
٦٠) عبد الله : دور العرب الحضاري في سمرقند ص ٨٤ .
٦١) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص ٢٩ ، شيخ الربوة : نخبة الدهر ص ٣٤٦ ، الادريسي : نزهة المشتاق جـ ١ ص ٥١٨ .
* ويقال لها اسفيجاب ايضاً ، وهي مدينة في ما وراء النهر ، عامرة ، فيها اسواقاً كثيرة . ينظر، الاصطخري : مسالك الممالك ص١٨٥- ١٨٦، المقدسي : أحسن التقاسيم ص ٢١٨ .
٦٢) الاصطخري : مسالك الممالك ص ١٦٣ .
٦٣) ينظر ، قدامة بن جعفر : نبذ من كتاب الخراج ص ٢٨ .
* هي مملكة قديمة متاخمة للصين ، فيها مدناً وعمائر كثيرة ومزدحمة السكان . ينظر ، ياقوت : معجم البلدان جـ ٢ ص ١٠ .
٦٤) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص ٣٩ .
٦٥) ينظر ، المسعودي : مروج الذهب جـ ١ ص ١٣٦ – ١٣٧ .
٦٦) لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ٥٠٨ ، وينظر ، فامبري : تاريخ بخارى ص٤٥ والذي اشار الى تجارة اهل بيكند مع الصين .
٦٧) بارتولد : تاريخ الترك ص ٨٢ .
٦٨) الاصطخري : مسالك الممالك ص ١٦٣ .
٦٩) ابن الاثير : الكامل في التاريخ جـ ٩ ص ٥٢٠ .
٧٠) حول تفاصيل ذلك ، ينظر ، خليفة بن خياط : تاريخ خليفة بن خياط جـ ١ ص ٣٠١، الطبري : تاريخ الرسل والملوك جـ٥ ص ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ٤٩٥ ، ٤٩٩ ، ٥٠١ ، جـ ٦ ص ٥ وما بعدها ، ابن اعثم : الفتوح جـ٨ ص ٢٧٨ ، ٢٧٩,
٧١) الاصطخري : مسالك الممالك ص ١٦٣، شيخ الربوة : نخبة الدهر ص ٣٤٥ –٣٤٦.
٧٢) فيصل : حركة الفتح الاسلامي ص ٢١٠ .
٧٣) حول ذلك ، ينظر ، المسعودي : مروج الذهب جـ ١ ص ٢٧٣ وما بعدها .
٧٤) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص ٣٠ .
* هي من اقدم مدن بلاد فارس ، وبها يسكن الملك وفيها الدواوين . ينظر ، المقدسي : أحسن التقاسيم ص ٣٣٢ ، ياقوت : معجم البلدان جـ ١ ص ٢١١ .
٧٥) مسالك الممالك ص ١٧٦ .
* اشار المقدسي على انها من مدن اسبيجاب ، وهي صغيرة ، كثيرة الغرباء . ينظر ، احسن التقاسيم ص ٢١٨ .

٧٦) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ٢١٨ .
٧٧) فيصل : حركة الفتح الاسلامي ص ٢٠٨ .
٧٨) ياقوت : معجم البلدان جـ ٥ ص ٣٣ .
٧٩) فيصل : حركة الفتح الاسلامي ص ٢٠٩ .
٨٠) وقد بدا هذا الامر من خلال التفاف الملك الساساني يزدجرد الاخير بملوك ما وراء النهر ، اثر هروبه هناك عند اجتياح العرب المسلمين لاراضي دولته عام ٢١ هـ / ٦٤١ م، وتحالف مع خاقان الترك لقتال العرب ، اذ امده الخاقان بالسلاح والاموال . حول تفاصيل ذلك ، ينظر ، الطبري : تاريخ الرسل والملوك جـ ٣ ص ٥٥٠ ، ابن الاثير : الكامل في التاريخ جـ ٣ ص ٣٤ ، ابن خلدون : التاريخ مج ٢ ص ٩٨٦ .
٨١) السامرائي : السفارات في التاريخ الاسلامي ص ٤١٢ ، سلطان : العرب والصين ص ٢١٨ ، وينظر ، السامر : السفارات العربية الى الصين ص ٣٤٤ .
٨٢) الطبري : تاريخ الرسل والملوك جـ٥ ص ٤٠٣ – ٤٠٤ .
٨٣) حول جغرافية ما وراء النهر ، ينظر ، الاصطخري : مسالك الممالك ص ١٦١ وما بعدها ، المقدسي : أحسن التقاسيم ص ٢١٤ وما بعدها ، الادريسي : نزهة المشتاق جـ ١ ص ٤٨٧ وما بعدها ، شيخ الربوة : نخبة الدهر ص ٢٩١ وما بعدها .
٨٤) حسن : القبائل العربية في المشرق ص ٢٠٩ – ٢١٠ .
٨٥) حول تفاصيل ذلك ، ينظر ، خليفة بن خياط : تاريخ خليفة بن خياط جـ ١ ص ٣٨١، البلاذري : فتوح البلدان ص ٤٠٩ ، الطبري : تاريخ الرسل والملوك جـ١ ص٥٢٢ .
٨٦) ابن الاثير : الكامل في التاريخ جـ ٥ ص ٥ .
* حول هذه القبائل وانسابها وبطونها ، ينظر ، ابن حزم : جمهرة انساب العرب ص٤٨١ – ٤٨٤ .
٨٧) الحميري : الروض العطار ص ٣٢٣ .
٨٨) ينظر ، البلاذري : فتوح البلدان ص ٤١٦ .
* لم اعثر له على ترجمة .
٨٩) تاريخ الرسل والملوك جـ٥ ص٦٣٥ .
٩٠) اليعقوبي : البلدان ص ١٢٥ .
٩١) فلهاوزن : تاريخ الدولة العربية ص ,٤٤٠
٩٢) ينظر ، العلي : التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية ص ٩٢ .
٩٣) الاصطخري : مسالك الممالك ص ١٦٣ .
٩٤) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ٢٢٧ .
* لعل القصد منها بادية جزيرة العرب .
٩٥) الاصطخري : مسالك الممالك ص ١٦٣ ، ابن حوقل : صورة الارض ص٣٧٨ .
٩٦) لومبار : الاسلام في مجده الاول ص ٢١ .
٩٧) باقر : تاريخ ايران القديم ص ٦٧ ، كرستنسن : ايران في عهد الساسانيين ص ١٦،٣٥ ، وينظر ، قدامة بن جعفر : نبذ من كتاب الخراج ص ٨٣ والذي اشار الى عدد من المدن التي بناها الاسكندر في ما وراء النهر ، وكذلك ياقوت : معجم البلدان جـ ١ص١٨٣. ٩٨) اليعقوبي : البلدان ص ١٢٠ - ١٢١ ، ١٢٢ .
٩٩) اليعقوبي : البلدان ص ١٢٢ .
١٠٠) ابن خلدون : التاريخ مج ٢جـ ٢ ص ٣٥٤ .
١٠١) القلقشندي : صبح الاعشى جـ ٤ ص ٤٣٥ .
١٠٢) ينظر ، المقدسي: البدء والتاريخ جـ ٤ ص٧٩ – ٨٠ ، اليعقوبي : البلدان ص,١٢٥
١٠٣) اليعقوبي : البلدان ص ١٢٥ ، ياقوت : معجم البلدان جـ ٤ ص ٢٩٥ ، ,٤٣٠
١٠٤) الطبري : تاريخ الرسل والملوك جـ٥ ص ٦٤٨ .

١٠٥) ينظر ، بارتولد ، تركستان ص ٢٧٧ .
١٠٦) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص ٣٠، الاصطخري : مسالك الممالك ص ١٦٦، ابن حوقل : صورة الارض ص٤١٩ والذي اشار ان خجندة ضمن فرغانة ، الا انها منفردة في اعمالها وادارتها .
١٠٧) لومبار : الاسلام في مجده الاول ص ٢٣ .
١٠٨) ابن الاثير : الكامل في التاريخ جـ ٥ ص ١٢٦ .
* هو لقب ملك من ملوك الترك ، ويطلق على شيوخ الامراء ، ومعناه الرئيس . ينظر ، البيروني : الآثار الباقية ص ١١٠ ، الباشا : الالقاب الاسلامية ص ٢٧٤ .
١٠٩) فيصل : حركة الفتح الاسلامي ص ٢٠٩ .
١١٠) ينظر ، النرشخي : تاريخ بخارى ص ٥٤ – ٥٥ ، وقد اشار الى ان خان الترك قد اشتبك مع بهرام الخامس ملك الساسانيين ، عندما اراد السيطرة على بلاد ما وراء النهر .
١١١) معجم البلدان جـ ٢ ص ٢٣ – ٢٤ ، جـ ٤ ص ٤٨٩ ، وينظر ، الادريسي : نزهة المشتاق جـ١ ص ٥٢١ .
١١٢) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص ٣٩، ياقوت : معجم البلدان جـ ٥ ص ٣١١ .
١١٣) المقريزي : المواعظ والاعتبار جـ ٣ ص ٣٥٧ .
١١٤) ابن فضلان : رسالة ابن فضلان ص ٩١ .
١١٥) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص ٣٠ ، الخوارزمي : مفاتيح العلوم ص ٩٨ ، الصابي : رسوم دار الخلافة ص ١٣١ ، القلقشندي : صبح الاعشى جـ ٥ ص ٤٨٤ .
١١٦) السيوطي : تاريخ الخلفاء ص ٣٩٨ .
١١٧) الاصطخري : مسالك الممالك ص ١٨٠ .
١١٨) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١١ ص ٢١٥ .
١١٩) الباشا : الالقاب الاسلامية ص ١٣٦ .
* هو لقب يطلق على الامير التابع للخاقان. ينظر، فلهاوزن : تاريخ الدولة العربية ص٤١٢.
١٢٠) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص ٣٩ – ٤١ .
١٢١) الخوارزمي : مفاتيح العلوم ص ١١٩ .
١٢٢) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ٢١٢ ، القلقشندي : صبح الاعشى جـ ٥ ص ٤٤٦ .
١٢٣) الطبري : تاريخ الرسل والملوك جـ٦ ص٤٠٩.
* هو لفظ تركي ، معناه السيدة ، ينظر ، الباشا : الالقاب الاسلامية ص ٢٦٤ .
١٢٤) تاريخ بخارى ص٢٣ ، ٢٩ ، وينظر ، فامبري : تاريخ بخارى ص٣٩ .
١٢٥) كرستنسن : ايران في عهد الساسانيين ص ٨ ، ٢٨٦ ، فيصل : حركة الفتح الاسلامي ص ٢٠٩ .
١٢٦) بارتولد : تركستان ص ٢٩٧ .
١٢٧) قدامة بن جعفر : نبذ من كتاب الخراج ص ٣١ .
* يبدو انه مصطلح اداري ، يدل على منطقة معينة داخل المدينة لها حدودها ومعالمها الخاصة .
١٢٨) بارتولد : تركستان ص ٤٦٨ .
* اسم يطلق على كل موضع فيه قرىً ومزارع ، ويبدو انه من وحدات الاستيطان الزراعية. حول معنى الرستاق ، ينظر ، مصطفى : المدن في الاسلام جـ ١ ص ٨٨ .
١٢٩) الاصطخري : مسالك الممالك ص ١٨١ .
* حول تفاصيل هذه القبيلة وبطونها وافرادها ، ينظر ، ابن حزم : جمهرة انساب العرب ص ٣٠٧ وما بعدها .
١٣٠) مسالك الممالك ص ١٨١ .
* وهو من العرب الذين ترجع انسابهم الى قبيلة كنانة بن خزيمة بن مدركة . ينظر ، ابن حزم : جمهرة انساب العرب ص ١١ .

١٣١) ابن حزم : جمهرة انساب العرب ص ١١ .
١٣٢) ينظر ، الطبري : تاريخ الرسل والملوك جـ٥ ص ٥٢٢ ، ٦٣٦ ، والذي اشار الى اتفاق قتيبة بن مسلم مع خوارزم شاه ضد ملك خام جرد ، وكذلك قيام سعيد خذينة خلال ولايته على خراسان بالاستعانة بالدهاقين .
١٣٣) بارتولد : تركستان ص ٢٩٨ .
١٣٤) تاريخ الرسل والملوك جـ٦ ص,٧
١٣٥) تاريخ بخارى ص٤٣ .
١٣٦) بارتولد : تركستان ٢٩٩ .
١٣٧) المقدسي : احسن التقاسيم ص ٢٢٢ .
١٣٨) الاصطخري : مسالك الممالك ص ١٦٨ ، المقدسي : احسن التقاسيم ص ٢٢٧ .
١٣٩) الاصطخري : مسالك الممالك ص ١٧٠ .
١٤٠) المقدسي : احسن التقاسيم ص ٢٢٢ .
١٤١) النرشخي : تاريخ بخارى ص ٢٨ .
* جمع ضياع ، وهي مال الرجل من النخل والكرم والارض ، وتأتي ايضاً بمعنى الحرفة والصناعة والمعاش والعقار . ينظر ، ابن منظور : لسان العرب جـ ٨ ص ٢٣٠ .
١٤٢) الاصطخري : مسالك الممالك ص ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ .
١٤٣) ابن حوقل : صورة الارض ص ٤١٦ ، الادريسي : نزهة المشتاق جـ ١ ص ٥١٢، ٥١٣ ، بارتولد : تركستان ص ٢٨٢ .
* ومعناها ، الشديد ، والجمع قسيان، وهي ثياب من كتان مخلوط بحرير يؤتى بها من مصر ومنسوب الى قرية القس هناك . ينظر ، ابن منظور : لسان العرب جـ ٦ ص ١٧٥ ، جـ١٥ ص١٨١ .
** اشار اليها المقدسي انها طيبة قريبة من نهر جيحون ، تابعة الى الصغانيان . ينظر ، احسن التقاسيم ص ٢٢٥ .
*** بلدة كبيرة شرقي خوارزم ومن توابعها. ينظر، ياقوت: معجم البلدان جـ٤ص٤٢٧ .
١٤٤) المقدسي : احسن التقاسيم ص ٢٢١ ، ٢٢٥ ، ٢٢٨ .
١٤٥) الاصطخري: مسالك الممالك ص ١٧٨، وينظر ، المقدسي : احسن التقاسيم ص٤١.
* ذكرها الاصطخري انها مدينة ورستاق تابعة لسمرقند . ينظر ، مسالك الممالك ص ,١٨١
١٤٦) الادريسي : نزهة المشتاق جـ ١ ص ٥٠١ .
١٤٧) الحديثي : اسواق المدن الخراسانية ص ١١٩ .
١٤٨) المقدسي : احسن التقاسيم ص ٢١٨ .
١٤٩) الاصطخري : مسالك الممالك ص ١٧٠ ، ١٧٥ .
١٥٠) المقدسي : احسن التقاسيم ص ٢١٨ وقد اشار في ص ٢١٥ و ص ٢١٨ ، ان رنجد من توابع فرغانة ذات مزارع كثيرة .
١٥١) تاريخ بخارى ص ١٠ .
١٥٢) ينظر ، احسن التقاسيم ص ٢١٨ وما بعدها .
١٥٣) الاصطخري : مسالك الممالك ص ١٦١ ، ١٦٣ .
١٥٤) الاصطخري : مسالك الممالك ص ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ابن حوقل : صورة الارض ص ٤٢٢ .
١٥٥) الاصطخري : مسالك الممالك ص ١٦٣ ، ابن حوقل : صورة الارض ص ٣٨٧ ، ياقوت : معجم البلدان جـ ٥ ص ,٤٧
١٥٦) ينظر ، الاصطخري : مسالك الممالك ص ١٦٧، ١٧٤ .
١٥٧) تاريخ بخارى ص ١١٥ .
١٥٨) ابن الزبير : الذخائر والتحف ص ١٤١ .

١٥٩) الاصطخري :مسالك الممالك ص ١٦٣ ، ١٦٤ ، المقدسي: احسن التقاسيم ص,٢١٤
١٦٠) الاصطخري : مسالك الممالك ص ,١٦٣
١٦١) الاصطخري : مسالك الممالك ص ١٦٣، وينظر ، القزويني : اثار البلاد ص ,٥٥٨
١٦٢) الطبري : تاريخ الرسل والملوك جـ ٩ ص ٤٢ ، عريب : صلة تاريخ الطبري ص١٦ ، الذهبي : العبر جـ ٢ ص ٨٧ .
١٦٣) احسن التقاسيم ص ٢٢٥ .
*هو ابو الحسن نصر بن احمد بن اسماعيل الساماني ، تولى امارة خراسان وما وراء النهر من عام ٣٠١ هـ / ٩١٣ م حتى عام ٣٣١ هـ / ٩٤٢ م ، وكانت سنه يومذاك ثماني سنوات ، وقد انفد الخليفة العباسي المقتدر بالله (٢٩٥ – ٣٢٠ هـ / ٩٠٨ - ٩٣٢ م) عهد خراسان اليه رغم صغر سنه . لمزيد من التفاصيل ، ينظر ، الطبري : تاريخ الرسل والملوك جـ ٩ ص ١٠٩ وما بعدها ، النرشخي : تاريخ بخارى ص ١٢٧ ، الحديثي : خراسان في العهد الساماني ص ٨١ وما بعدها .
١٦٤) مسالك الممالك ص ,١٦٣
١٦٥) ابن الزبير : الذخائر والتحف ص ١٤٣ .
١٦٦) بارتولد : تركستان ص ٢٨٢ .
١٦٧) الاصطخري : مسالك الممالك ص,١٦١
١٦٨) القلقشندي : صبح الاعشى جـ ٤ ص ٤٤٥ ، وينظر ، مسالك الممالك ص ١٦١ ، المقدسي : احسن التقاسيم ص ٤٢ ، ٢١٤ ، القزويني : اثار البلاد ص ٥٥٧ .
١٦٩) مسالك الممالك ص ١٦١.
١٧٠) تاريخ بخارى ص ٢٧ وما بعدها .
١٧١) ينظر ، الاصطخري : مسالك الممالك ص ١٦١ .
*وهو يعادل نصف منٍ ، والمن وزن مائتين وسبعة وخمسين درهماً وسبع درهم . ينظر : الخوارزمي مفاتيح العلوم ص ١٤ .
١٧٢) رسالة ابن فضلان ص ٨٣ – ٨٤ .
*وهو وحدة قياس تعادل ستون ذراعاً طولاً في مثلها عرضاً . ينظر ، الخوارزمي : مفاتيح العلوم ص ٦٦ .
١٧٣) صورة الارض ص ٣٨٨ .
١٧٤) احسن التقاسيم ص ٢١٨ .
١٧٥) زين الاخبار ص ١٢ .
١٧٦) ينظر ، المقدسي : احسن التقاسيم ص ٢٦٥ في تفاصيله عن الضرائب والاسعار .
١٧٧) الاصطخري : مسالك الممالك ص ١٦٢ ، ابن حوقل : صورة الارض ص ٣٨٥ .
١٧٨) احسن التقاسيم ص ٢٢١ ، وبنكث التي اشار اليها هي قصبة الشاش ، واسعة الرقعة، فسيحة المنازل .
١٧٩) الاصطخري : مسالك الممالك ص ١٧٩ ، الادريسي : نزهة المشتاق جـ ١ ص ٤٩٧ – ٤٩٨ .
١٨٠) الاصطخري : مسالك الممالك ص ١٧٧ .
١٨١) الاصطخري : مسالك الممالك ص ١٧٧ .
١٨٢) الاصطخري : مسالك الممالك ص ١٧١ ، المقدسي : احسن التقاسيم ص ٢٢٥ ، الادريسي : نزهة المشتاق جـ ١ ص ٤٩٣ .
١٨٣) الاصطخري : مسالك الممالك ص ١٧٨ ، المقدسي : احسن التقاسيم ص ٢٢٥ .
١٨٤) الادريسي : نزهة المشتاق جـ ١ ص ٤٨٩ .
١٨٥) الاصطخري : مسالك الممالك ص ١٧١ – ١٧٢ .
١٨٦) الاصطخري : مسالك الممالك ص ١٧٧ ، ابن حوقل : صورة الارض ص ٤٠٩ .

١٨٧) الجاحظ : رسائل الجاحظ ص ٥٦ .
١٨٨) الجنابي : الحياة الاجتماعية في العراق ص ٤١٧ .
١٨٩) ابن الطقطقي : الفخري في الاداب السلطانية ص ٢٣ .
١٩٠) الاصطخري : مسالك الممالك ص ١٦١ ، ابن حوقل : صورة الارض ص ,٣٨٤
١٩١) الجاحظ : رسائل الجاحظ ص ٥٥ .
١٩٢) ابن حوقل : صورة الارض ص ٣٨٧ ، المقدسي : احسن التقاسيم ص ٢١٤ .
١٩٣) ابن فضلان : رسالة ابن فضلان ص ٨٤ .
١٩٤) الاصطخري : مسالك الممالك ص ١٦٢ .
١٩٥) ابن الاثير : الكامل في التاريخ جـ ٩ ص ٥٢٠ ، وحول تحالفاتهم ، ينظر ، الطبري : تاريخ الرسل والملوك جـ ٦ ص ٦٢١ – ٦٢٢ .
١٩٦) شيخ الربوة : نخبة الدهر ص ٢٦٢ – ٢٦٣ ، ٣٤٦ ، ينظر ، ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص ٣٩ – ٤٠ .
١٩٧) ابن فضلان : رسالة ابن فضلان ص ٩١ ، وينظر ، الاصطخري : مسالك الممالك ص ١٦٣ والذي اشار ضمناً بأن اهل ما وراء النهر احسن الناس طاعة لكبرائهم ، وفي ذلك احتراماً لشيوخهم وساداتهم . وكذلك ، ياقوت : معجم البلدان جـ ٥ ص ٤٧ .
١٩٨) ابن فضلان : رسالة ابن فضلان ص ٩١ .
١٩٩) النظامي العروضي : جهار مقالة ص ١٢٣ .
٢٠٠) ابن عبد ربه : العقد الفريد جـ ٦ ص ٥٢٤ .
٢٠١) الادريسي : نزهة المشتاق جـ ١ ص ,٥٢٠
٢٠٢) المقدسي : احسن التقاسيم ص ٢١٤ ، ٢٢٢ ، ٢٢٧ .
٢٠٣) ابن فضلان : رسالة ابن فضلان ص ٩٣ – ٩٤ .
٢٠٤) الادريسي : نزهة المشتاق جـ ١ ص ٥٢٠.
* القلنسوة ، هي لباس مستدير ومبطن يوضع على الرأس . ينظر ، الكرملي : بعض اصطلاحات يونانية في اللغة العربية ص ٣٠٧ ، وقد اورد تفاسير مختلفة ومتنوعة لمعنى القلنسوة والتسميات التي اطلقت عليها .
٢٠٥) الاصطخري : مسالك الممالك ص ١٧٦ .
* هي من الاسماء المعربّة في اللغة العربية وتعني القباء (وهو نوع من الالبسة) . ينظر ، ابن منظور : لسان العرب جـ١٠ ص ٣٢٣ .
٢٠٦) الاصطخري : مسالك الممالك ص ١٧٠ ، الحميري : الروض المعطار ص ٨٣ .
٢٠٧) احسن التقاسيم ص ٢٥٨ .
٢٠٨) الادريسي : نزهة المشتاق جـ ١ ص ٥٠١ .
٢٠٩) النرشخي : تاريخ بخارى ص ٢٧.
* الخان، هو الحانوت او صاحب الحانوت ، وهو اسم فارسي معرب، وقيل ايضاً،الخان الذي للتجار. ينظر،ابن منظور: لسان العرب جـ١٣ص١٤٦،العلي:ادارة خراسان ص٣٣٤.
** ربما يدل هذا المصطلح الذي كثر استخدامه في خراسان وما وراء النهر ، على المناطق المسورة او المحصنة او الاحياء السكنية او البساتين التي عادة ما تحاط بسور او حائط لحمايتها .
٢١٠) الاصطخري : مسالك الممالك ص ١٦٣ ، ابن حوقل : صورة الارض ص ٣٨٦ .
٢١١) متز : الحضارة الاسلامية جـ ٢ ص ٢٧٨ – ٢٧٩ .
* لم اعثر لها على معنى .
٢١٢) المقدسي : احسن التقاسيم ص ٢١٣ .
٢١٣) متز : الحضارة الاسلامية جـ ٢ ص ٢٨١ .
٢١٤) تاريخ بخارى ص ٢٧ .

٢١٥) المسعودي : التنبيه والاشراف ص ٥٠ ، كرديزي : زين الاخبار ص ٣٥ .
٢١٦) ابن تغري بردى : النجوم الزاهرة جـ ٢ ص ٢٣٨ .

قائمة المصادر والمراجع :

المصادر الاولية :

ابن الاثير ، عز الدين ابي الحسن علي بن ابي الكرم بن محمد الشيباني (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م) .
- الكامل في التاريخ (بيروت ، دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٩٦٥ م) .
الادريسي ، ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس الحموي الحسني (ت ٦٥٠هـ / ١٢٥٢ م) .
- نزهة المشتاق في اختراق الافاق (القاهرة ، مكتبة الثقافة الدينية ، ٢٠٠٢ م) .
ابن اسفنديار ، بهاء الدين محمد بن حسن (ت في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي) .
- تاريخ طبرستان (ترجمة ، احمد محمد نادي ، ط ١ ، القاهرة ، طبع بالهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية ، ٢٠٠٢ م) .
الاصطخري ، ابو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي الكرخي (ت ٣٤١ هـ / ٩٥٢ م) .
- مسالك الممالك (تحقيق ، محمد جابر الحسيني ، القاهرة ، مطابع دار القلم ، د. ت) .
ابن اعثم ، ابو محمد احمد بن اعثم الكوفي الكندي (ت ٣١٤ هـ / ٩٢٦ م) .
- الفتوح (تحقيق ، علي شيري ، ط ١ ، بيروت ، دار الاضواء للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٩١ م) .
البلاذري ، احمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م) .
- فتوح البلدان (باشراف لجنة تحقيق التراث ، بيروت ، منشورات مكتبة الهلال ، د.ت) .
ابن تغري بردى ، جمال الدين ابي المحاسن بن يوسف الاتابكي (ت ٨٧٤هـ / ١٤٤٣م) .
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (ط ١ ، القاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٢٨ م) .
الثعالبي ، ابو منصور بن عبد الملك بن محمد النيسابوري (ت ٤٢٩هـ / ١٠٣٧ م) .
- تاريخ غرر السير المعروف بكتاب غرر اخبار ملوك الفرس وسيرهم (طهران ، مكتبة الاسدي ، اعيد طبعه سنة ١٩٦٣ م) .
الجاحظ ، ابو عثمان عمرو بن بحر البصري (ت ٢٥٥هـ / ٨٦٨ م) .
- رسائل الجاحظ (شرح وتعليق ، عبد الامير مهنا ، ط ١ ، بيروت ، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٨٨ م) .
ابن حبان ، محمد بن حبان بن احمد ابو حاتم التميمي البستي (ت ٣٥٤هـ / ٩٦٥م) .
- الثقات (تحقيق ، السيد شرف الدين احمد ، ط ١ ، دار الفكر ، ١٩٧٥ م) .
ابن حزم ، ابو محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم الاندلسي (ت ٤٥٦ هـ / ١٠٦٣م) .
- جمهرة انساب العرب (ط ٣ ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٣ م) .
الحميري ، محمد بن عبد المنعم (ت ٧٢٧هـ / ١٣٢٦م) .
- الروض المعطار في خبر الاقطار (تحقيق ، د . احسان عباس ، بيروت ، مطبعة دار القلم ، ١٩٧٥ م) .
ابن حوقل ، ابو القاسم محمد بن علي النصيبي (ت ٣٦٧هـ / ٩٧٧م) .
- صورة الارض (بيروت ، مكتبة الحياة ، د. ت) .
ابن خرداذبة ، ابو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت ٣٠٠ هـ / ٩١٢م) .
- المسالك والممالك (باعتناء ، دي غويه ، بريل – ليدن ، ١٨٨٩ م) .
ابن خلدون ، عبد الرحمن بن خلدون المغربي (ت ٨٠٨هـ / ١٤٧٥م) .

- التاريخ المسمى بالعبر وديوان المبتدأ والخبر (بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، ١٩٧٧ م) .
خليفة بن خياط ، بن شباب العصفري (ت ٤٢٠هـ / ٨٥٤م) .
- تاريخ خليفة بن خياط (تحقيق ، اكرم ضياء العمري ، ط ١ ، بغداد ، مطبعة العاني ، ١٩٦٧ م) .
الخوارزمي ، ابو عبد الله محمد بن احمد بن يوسف الكاتب (ت ٣٦٦هـ / ٩٧٦ م) .
- مفاتيح العلوم (تحقيق ، فان فلوتن ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، الشركة الدولية للطباعة ، ٢٠٠٤ م) .
الدينوري ، ابو حنيفة احمد بن داود (ت ٢٨٢هـ / ٨٩٥ م) .
- الاخبار الطوال (تحقيق ، عبد المنعم عامر ، مراجعة ، د. جمال الدين شيال ، ط ٢، نشر المكتبة الحيدرية ، ١٣٧٩ هـ) .
الذهبي ، شمس الدين ابي عبد الله محمد بن احمد بن قايماز (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧ م) .
- سير اعلام النبلاء (تحقيق ، شعيب الارناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي ، ط ٩ ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤١٣ هـ) .
- العبر في خبر من غبر (تحقيق ، فؤاد سعيد ، الكويت ، ١٩٦١ م) .
ابن رسته ، علي بن عمر (ت ٢٩٠هـ / ٩٠٢ م) .
- الاعلاق النفيسة (بأعتناء ، دي غويه ، بريل – ليدن ، ١٨٩١ م) .
ابن الزبير ، القاضي الرشيد بن الزبير (ت في اوائل القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي) .
- الذخائر والتحف (تحقيق ، د. محمد حميد الله ، الكويت ، ١٩٥٩ م) .
ابن سعد ، ابو عبد الله محمد بن منيع البصري (ت ٢٣٠هـ / ٨٤٥م) .
- الطبقات الكبرى (بيروت ، دار صادر للطباعة والنشر ، ١٩٥٧ م) .
السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر الشافعي (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥ م) .
- تاريخ الخلفاء(تحقيق، محمد محيي الدين عبد الحميد، بغداد، مطبعة منير،١٩٥٢م) .
شيخ الربوة ، شمس الدين ابي عبد الله محمد بن ابي طالب الانصاري الدمشقي (ت ٧٢٧هـ / ١٣٢٦ م) .
- نخبة الدهر في عجائب البر والبحر (ط ٢ ، بيروت ، دار احياء التراث العربي ، ١٩٩٨ م) .
الصابي ، ابو الحسن هلال بن المحسن الكاتب (ت ٤٤٨هـ / ١٠٥٦م) .
- رسوم دار الخلافة (تحقيق ، ميخائيل عواد ، بغداد ، مطبعة العاني ، ١٩٦٤ م) .
الطبري ، ابو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ / ٩٢٢ م) .
- تاريخ الرسل والملوك (تحقيق وتعليق ، عبد الامير علي مهنا ، ط ١ ، بيروت ، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، ١٩٩٨ م) .
ابن الطقطقي ، محمد بن علي بن طباطبا (ت ٧٠٩هـ / ١٣٠٩ م) .
- الفخري في الاداب السلطانية والدول الاسلامية (ط ١ ، ايران ، منشورات الشريف الرضي ، ١٤١٤ هـ) .
ابن عبد ربه ، ابو عمران احمد بن محمد الاندلسي (ت ٣٢٨هـ / ٩٣٩م) .
- العقد الفريد (شرح وتعليق ، عبد الامير مهنا ، ط ١ ، بيروت ، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع ، د. ت) .
عريب ، عريب بن سعيد القرطبي (ت ٣٦٦هـ / ٩٤٧ م) .
- صلة تاريخ الطبري (باعتناء ، دي غويه ، بريل – ليدن ، ١٨٩٧ م) .
ابن الفقيه ، ابو بكر بن محمد الهمداني (ت ٣٦٥هـ / ٩٧٥ م) .
ابن فضلان ، احمد بن فضلان بن العباس بن راشد (ت٣٠٩ – ٣١٠هـ/ ٩٢١-٩٢٢م).

- رسالة ابن فضلان (حققها وعلق عليها وقدم لها ، د. سامي الدهان ، دمشق ، مطبوعات المجمع العلمي العربي ، ١٩٥٩م) .
- مختصر كتاب البلدان (باعتناء ، دي غويه ، بريل – ليدن ، ١٨٨٥ م) .
ابن قتيبة ، ابو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦هـ / ٨٨٩ م) .
- المعارف (صححه وعلق عليه ، محمد اسماعيل عبد الله الصاوي ، ط ١ ، مصر ، المطبعة الاسلامية ، د. ت) .
قدامة بن جعفر ، ابو الفرج قدامة بن جعفر البغدادي (ت ٣٢٠هـ / ٩٣٢م) .
- نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة (وضع مقدمته وهوامشه وفهارسه ، د. محمد مخزوم ، ط ١ ، بيروت ، دار احياء التراث العربي ، ١٩٨٨ م) .
القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٢٢هـ / ١٢٢٥م) .
- آثار البلاد واخبار العباد (بيروت ، دار صادر ، د. ت) .
القلقشندي ، ابو العباس احمد بن علي (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م) .
- صبح الاعشى في صناعة الانشا (القاهرة ، المطبعة الاميرية ، ١٩١٣ م) .
ابن كثير، عماد الدين ابي الفدا اسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ / ١٨٥٣م) .
- البداية والنهاية (مصر ، مطبعة السعادة ، د. ت) .
كرديزي ، ابو سعيد عبد الحي بن الضحاك (ت ٤٤٠هـ / ١٠٤٨م) .
- زين الاخبار (ترجمة ، محمد بن تاوت ، فاس ، ١٩٧٢ م) .
المسعودي ، ابو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ / ٩٥٧م) .
- التنبيه والاشراف (القاهرة ، ١٩٣٨ م) .
- مروج الذهب ومعادن الجوهر (ط ١ ، بيروت ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، ٢٠٠٤ م) .
المقدسي ، ابو عبد الله محمد بن احمد البشاري (ت ٣٧٥هـ / ٩٨٥م) .
- احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم (وضع مقدمته وهوامشه وفهارسه ، د. محمد مخزوم ، بيروت ، دار احياء التراث العربي ، ١٩٨٧ م) .
المقدسي ، مطهر بن طاهر (ت ٣٥٥هـ / ٩٦٥م) .
- البدء والتاريخ (اعتنى بنشره ، كلمان هوار ، باريس ، ١٩١٦ م) .
ابن منظور ، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الافريقي المصري (ت ٧١١هـ / ١٣١١م) .
- لسان العرب (بيروت ، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر ، ١٩٥٦ م) .
النرشخي ، ابو بكر محمد بن جعفر (ت ٣٤٨هـ / ٩٥٩م) .
- تاريخ بخارى (ترجمة ، أمين عبد المجيد بدوي ونصر الله مبشر الطرازي ، القاهرة ، ١٩٦٥ م) .
النظامي العروضي ، نظام الدين أبي الحسن احمد بن عمر العروضي السمرقندي (ت في حدود سنة ٥٥٢ هـ / ١١٥٧ م) .
- جهار مقالة (ترجمة ، محمد بن تاوت ، ط١ ، الدار البيضاء ، مطبعة النجاح الجديدة ، ١٩٨٢ م) .
النويري ، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣ هـ / ١٣٣٢ م)
- نهاية الارب في فنون الادب (تحقيق ، محمد ابو الفضل ابراهيم ، القاهرة ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٥ م) .
ياقوت ، شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي البغدادي (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م) .
- معجم البلدان (بيروت ، دار الفكر ، د. ت) .

اليعقوبي ، احمد بن ابي يعقوب اسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح (ت بعد سنة ٢٩٢هـ / ٩٠٤ م) .
- البلدان (وضع حواشيه ، محمد أمين ضنّاوي ، ط١ ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٢ م) .

المراجع الثانوية :

بارتولد ، فاسيلي فلاديميروفتش .
- تاريخ الترك في اسيا (ترجمة ، احمد السعيد سلمان ، مصر ، ١٩٥٨ م) .
- تركستان من الفتح العربي الى الغزو المغولي (نقله عن الروسية ، صلاح الدين عثمان ، ط١ ، الكويت ، اشرف على طبعه قسم التراث ، ١٩٨١ م) .
الباشا ، د. حسن .
- الالقاب الاسلامية في التاريخ والوثائق والاثار (القاهرة ، مطبعة لجنة البيان العربي ، ١٩٥٧ م) .
باقر ، طه واخرون .
- تاريخ ايران القديم (مطبعة جامعة بغداد ، ١٩٧٩ م) .
بروي ، ادوار .
- تاريخ الحضارات (ترجمة ، يوسف اسعد داغر وزيد م. داغر ، ط١ ، بيروت ، منشورات عويدات ، ١٩٦٥ م) .
الحديثي ، د. قحطان عبد الستار .
- ارباع خراسان (مطبعة جامعة البصرة ، ١٩٩٠ م) .
حسن ، ناجي .
- القبائل العربية في المشرق خلال العصر الاموي ٤٠ – ١٣٢ هـ / ٦٦٠ – ٧٤٩ م (منشورات اتحاد المؤرخين العرب ، ١٩٨٠ م) .

حلمي ، احمد كمال الدين .
- ٣٥٠٠ عام من عمر ايران (ط١ ، جامعة الكويت ، ١٩٧٩ م) .
سعيد ، مؤيد .
- العراق في التاريخ القديم (بغداد ، دار الحرية للطباعة ، ١٩٨٣ م) .
السلطاني ، غانم هاشم خضير .
- قتيبة بن مسلم الباهلي ٨٦ – ٩٦ هـ (ط١، بغداد ، هيئة كتابة التاريخ ، ١٩٩٠م) .
الصيني ، بدر الدين حي .
- العلاقات بين العرب والصين (ط١ ، مطبعة مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٠ م) .
العلي ، د. صالح احمد .
- التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الاول الهجري (بيروت ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، د. ت) .
فامبري ، ارمينوس .
- تاريخ بخارى منذ اقدم العصور حتى الوقت الحاضر (ترجمة ، د. احمد محمود الساداتي ، مراجعة وتقديم ، د. يحي الخشاب ، القاهرة ، مطابع شركة الاعلانات الشرقية ، ١٩٦٥ م) .
فلهاوزن ، يوليوس .
- تاريخ الدولة العربية من ظهور الاسلام الى نهاية الدولة الاموية (نقله عن الالمانية ، د. محمد عبد الهادي ابو ريده ، ط٢ ، القاهرة ، نشر لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٨ م) .

فيصل ، شكري .
- حركة الفتح الاسلامي في القرن الاول (ط٣ ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٧٤م) .
كرستنسن ، ارثر .
- ايران في عهد الساسانيين (ترجمة ، يحي الخشاب ، بيروت ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، د. ت) .
لسترنج ، كي .
- بلدان الخلافة الشرقية (ترجمة ، بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، بغداد ، مطبعة الرابطة ، ١٩٥٤ م) .
لومبار ، موريس .
- الاسلام في مجده الاول القرن ٢ – ٥ هـ (ترجمة وتعليق ، اسماعيل العربي ، الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، د. ت)
متز ، آدم .
- الحضارة الاسلامية (ترجمة ، محمد عبد الهادي ابو ريده ، ط٢ ، بيروت ، ١٩٦٧ م) .
محمود ، د. حسن احمد .
- الاسلام في اسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي (الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٣ م) .
محمود ، د. حسن احمد و د. احمد ابراهيم الشريف .
- العالم الاسلامي في العصر العباسي (دار الفكر العربي ، د. ت) .
مصطفى ، شاكر .
- المدن في الاسلام حتى العصر العثماني (ط١ ، ١٩٨٨ م) .
ناجي ، عبد الجبار .
- دراسات في تاريخ المدن العربية الاسلامية (مطبعة جامعة البصرة ، ١٩٨٦ م) .

الاطاريح والرسائل الجامعية :

الجنابي ، فاضل عواد .
- الحياة الاجتماعية في العراق من خلال شعر القرن الثالث الهجري (اطروحة دكتوراه غير منشورة ، الجامعة المستنصرية ، كلية الاداب ، ١٩٨٩ م) .
الحديثي ، قحطان عبد الستار .
- خراسان في العهد الساماني ، دراسة في احوالها السياسية والادارية والاقتصادية من سنة ٢٠٤ هـ / ٨١٩ م الى سنة ٣٨٩ هـ / ٩٩٨ م (اطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية الاداب ، ١٩٨٠ م) .
الداغر ، نزار عبد المحسن جعفر .
- فرغانة ، دراسة في احوالها العامة من الفتح العربي الاسلامي حتى الغزو المغولي ٩٤ – ٦١٦ هـ / ٧١٢ – ١٢١٩ م (اطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة البصرة ، كلية الاداب ، ٢٠٠٥ م) .

السامرائي ، يونس عبد الحميد .
- السفارات في التاريخ الاسلامي حتى قيام الدولة العباسية (رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة القاهرة ، كلية العلوم ، ١٩٧٦ م) .
سلطان ، طارق فتحي .

- العرب والصين في القرون الوسطى – دراسة سياسية حضارية – ١ – ٧٦٩ هـ / ٦٢٢ – ١٣٦٨ م (رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الموصل ، كلية الاداب ، ١٩٨٠ م) .

عبد الله ، جهاد عزت .
- دور العرب الحضاري في سمرقند من الفتح العربي الاسلامي حتى نهاية القرن الثالث الهجري (رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية الاداب ، ١٩٨٥ م) .

الدوريــات :

الجميلي ، رشيد عبد الله .
- مظاهر الوحدة في اقاليم المشرق الاسلامي خلال العصر العباسي (مجلة اداب المستنصرية ، العدد السابع ، ١٩٨٣ م) .

الحديثي ، قحطان عبد الستار .
- اسواق المدن الخراسانية (مجلة المؤرخ العربي ، العدد ٣٠ ، السنة الثانية عشرة ، ١٩٨٦ م) .

السامر ، فيصل .
- السفارات العربية الى الصين في العصور الوسطى الاسلامية (مجلة الجامعة المستنصرية ، العدد الثاني ، السنة الثانية ، ١٩٧١ م) .

العلي ، صالح احمد .
- ادارة خراسان في العهود الاسلامية الاولى ، بعض المشاكل في دراستها (مجلة كلية الاداب ، جامعة بغداد ، العدد ١٥ ، ١٩٧٢ م) .
- تقسيمات خراسان الادارية (مجلة كلية الاداب ، جامعة بغداد ، العدد ١٥ ، ١٩٧١ م) .

الكرملي ، الاب انستاس ماري .
- بعض اصطلاحات يونانية في اللغة العربية (مجلة المجمع العلمي العراقي ، العدد الثامن عشر ، سنة ١٩٤٣ م) .

شبكة الاتصالات الدولية (الانترنت) :

Brykina , G. N. Corbunova .
- Central Asia in the early middle ages , introduction to the history of the regions (WWW.Kroraina.topcties.com).

نو ، هيونغ .
- امبراطورية الهون، (WWW.turkmensyria.tripod.com)